بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة الاولى \

أولاً : مفهوم فلسفة التاريخ وأهدافه:

مفهوم فلسفة التاريخ :

حمل مصطلح فلسفة التاريخ، منذ أواخر القرن التاسع عشر، مفهومين يختص كل واحد منهما بموضوع من الدراسة يختلف عن الآخر، عرف الموضوع الأول بفلسفة التاريخ التأملية أو النظرية: التي تعني النظر الفلسفي في معطيات التاريخ العام التي يصل اليها فيلسوف التاريخ لإيجاد تصور شامل من خلالها عن مسيرة الماضي البشري وأنماط هذه المسيرة أو قوانينها لمعرفة حقيقية الحاضر واستشراف المستقبل ، ودعي الثاني بفلسفة التاريخ النقدية أو التحليلية: التي تعني البحث في التركيب المنطقي للمعرفة التاريخية التي تسجل في علم التاريخ.

وكان مصطلح فلسفة التاريخ، قبل أن يحمل هذين المعنيين، يشير عند ابتكاره من قبل فولتير منتصف القرن الثامن عشر، الى دراسة التاريخ على أسس تحليلية نقدية تكفل تنقيته من الزائف والخرافي الذي لا يخضع لمعيار العقل، ظهر مصطلح

فلسفة التاريخ عام ١٧٥٦م في بحث نشره في تلك السنة الفيلسوف(*) الفرنسي ماري أرويه دي فولتير وقد أراد به :-

١. دراسة التاريخ بما يوسع من آفاقهُ الفكرية والنقدية للوصول الى تاريخ يعكس طبيعة التقدم المطرد للعقل البشري.

٢. الابتعاد عن دائرة الأفكار الضيقة للمؤرخين الأوربيين التي تهتم بالحروب والتاريخ السياسي فحسب دون تاريخ الحضارات،.

٣. الأيمان بمركزية أوربا،.

٤. الاعتماد على قصص العهد القديم كمسلمات ثابتة.

لا أن مثل هذا المعنى لفلسفة التاريخ. فضلاً عن المعنى الأساسي الآخر لها. قد سبقه أليه أبن خلدون في مقدمته من خلال نقده للمؤرخين ووضعه لمعايير كتابة تاريخ يخلو من الأكاذيب والأخطاء والمبالغات.، وفي أواخر القرن التاسع حمل مصطلح فلسفة التاريخ مفهوماً ثنائياً، يشير الى موضوعين مختلفين يؤدي كل منهما وظيفة خاصة به تبلورت عن تفاعل مفاهيم ورؤى فلسفية، أما مع (التاريخ) كمسيرة لحوادث الماضي البشري وهو فلسفة التاريخ التأميلية أو النظرية أو مع فلسفة التاريخ النقدية .

أهداف فلسفة التاريخ :

أهتم المؤرخون وفلاسفة التاريخ في أواخر القرن التاسع عشر برصد دوافع وأهداف فلسفة التاريخ بشقيها التأملي والنقدي فقد لاحظ هؤلاء أن الرؤية الفلسفية التأملية للتاريخ، متمثلة بتفسيره وفهم إيقاعه واتجاهات مسيرته، ارتبطت غالباً بعصور التدهور والانحطاط، التي كانت صعوبتها تحفز المفكرين والفلاسفة

الذين يعيشونها على التأمل في الماضي كانت الدهشة قبل كل ذلك أول باعث، كما يقول أرسطو على الفلسفة – بهدف إدراك عوامل التدهور وجذوره، ومحاولة اكتشاف مصيره، وما سوف يؤول أليه في المستقبل.

هكذا فسروا آراء القديس أوغسطين (٣٥٤ – ٤٣٠م) التي ضمنها كتابة : (مدينة الله) من حيث دوافع التاريخ وأهدافه، وعدوها أو محاولة لوضع خلاصة وافية لفلسفة التاريخ، فقد عاصر محنة تقسيم الإمبراطورية الرومانية وسقوط قسمها الغربي، فكان ذلك وازعاً له ليتأمل مسيرة التاريخ، رابطاً أياها بالمعتقدات المسيحية كما يقرأ واقع الدولة الرومانية في عصره، ويستشرف المستقبل حتى يوم البعث والحساب كما في المعتقدات المسيحية. كذلك الحال لأبن خلدون الذي عاش محناً وإخفاقات في عصره دفعته أن يتأمل التاريخ ويصوغ آراء فلسفية فيه. وربما كان ، أيضاً تبلور موضوع فلسفة التاريخ التأملية أواخر الثامن عشر يعبر، في جانب منه، عن شعور من قبل الفلاسفة الألمان بصعوبات الظروف السياسية التي عاشتها أوربا خلال عصر الثورة الفرنسية والحروب النابليونية، مما دفعهم لوضع مؤلفات تستقرئ التاريخ العام.

عمدت فلسفة التاريخ التأملية الى البحث عن وسائل لفهم الحاضر الماثل في تلك الحقبة من خلال ما تضمنه (تاريخية) الإنسان والحضارات التي انتجتها مجتمعاته كافة، دون حصرها بالمجتمعات الغربية، ذلك أن الإنسان له دور (محوري) في مسيرة تاريخه، يؤديه حيثما كان له وجود على الأرض. وذلك كله كيما تؤثر تلك (التاريخية) مسيرة المستقبل وتكشف عن ملامح مصيرها الذي أقلق المجتمعات الغربية. ومن هذا المنطلق تجد أن أبرز نظريات القرن العشرين

في فلسفة التاريخ التأملية، وهما نظريتا أشبنكلر وتوينبي، أنتقدتا توجهات عديدة لازمت الفكر التاريخي الفلسفي الغربي، كالتقدم المطرد في مسيرة القافلة البشرية، ومركزية الغرب وحضارته، والتفسيرات الواحدية التي حكمت اتجاهات ونظريات فلسفة التاريخ، فضلاً عن تفسيرات أقل أهمية منها، كالجغرافي والبطولي والعنصري لمسار التاريخ. وتصدت هاتان النظريتان لتفسير التاريخ العام على أساس (الحضارة) كمكون يتألف التاريخ العام من مجموع ما أنتجته منها المجتمعات البشرية كلها، ومن بينها المجتمعات الغربية.

إلا أن الرغبة في استشراف المستقبل، والتنبؤ بما سيحدث فيه رغبة في الفرار من صعوبات الحاضر وأزماته، ظل سمة بأرزة من سمات الفكر الفلسفي التاريخي في القرن العشرين. وغذ التنبؤ بالمستقبل من حيث ارتباطه بالماضي، فالمستقبل كان هو الهدف الأول، منذ الحرب العالمية الأولى لهذا النشاط الفلسفي التاريخي، الذي أضفى على فلسفة التاريخ التأملية الأهمية والفائدة، وجعلها موضوعاً يستثير فضول عامة الناس الذين باتوا يتساءلون عن فائدة التقدم التعلمي والتقني الذي جلب معه القلق للبشر وسلبهم الأمن والسعادة وألقى بظلاله القاتمة على مستقبلهم فراحوا يبحثون عن الإجابة في فلسفة التاريخ، ويمكن ايجاز أهداف فلسفة التاريخ بما يأتي:

١ – الكلية : تؤكد وحدة وترابط حوادث التاريخ ومراحله.

٢ –السببية (العلية) : السعي لاختزال العلل الجزئية إلى قوانين كلية تتجاوز الزمان والمكان ، ليفسر على ضوئها التاريخ الكلي بعد إعادة بناء الوقائع بشكل منطقي.

٣-المستقبلية : هي لا تقف عند أحداث التاريخ بل تتجاوز إلى المستقبل وبذلك وحدث الأزمنة الثلاثة وحفزت الإنسان على أن يجتهد من أجل تحقيق أهدافه المشروعة.

العلاقة بين التاريخ والفلسفة: تتمثل هذه العلاقة في عدة نقاط هي:-

١. تعالج الفلسفة بعض القصور في التاريخ كالإغراق في الأحداث والإسراف في الارتباط بالماضي ،فتربط فلسفة التاريخ الإنسان بالحاضر ولا تدعه يغوص في الماضي.
٢. تعالج الفلسفة عيبًا في بعض المؤرخين يتمثل في الإغراق في أحداث تاريخية لا حصر لها، فتحول الفلسفة هذه الأحداث إلى نسيج مترابط دون الدخول في تفصيلات.
٣. تعالج قصورًا في الفلسفة يعاني منه الفلاسفة ،وهو قلق يرجع إلى رغبة في الوصول إلى الحقيقة التي يلتمسوها من واقعية التاريخ.
٤. تلبي للإنسان حاجة ضرورية ،فهو كلما قلق في حاضره على مستقبله لجأ إلى الماضي ،أي محاولة تفسير الماضي أو التاريخ.
٥. يقال إن كل من الفلسفة والتاريخ يعالج قصورًا في الآخر ؛فالتاريخ يشد الفلسفة حتى لا تحلق بعيدًا عن الواقع ،بينما ترتفع الفلسفة بالتاريخ حتى لا يغوص في الماضي بإسراف .كما أن التاريخ يلتمس الحكمة من الفلسفة بينما تلتمس الفلسفة منه الواقعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة الثانية

م / النظريات في التفسير التاريخي

الأمم القديمة وفهم التاريخ الأسطوري.

أرتبط التاريخ، بمراحل الوعي المعرفي الأولى للإنسان وتطلعاته نحو إدراك حقيقة الكون والحياة، وما يتطلبه ذلك من وعي الإنسان بذاته وطبيعة أفعاله التي لا تقتصر على ما يستجد منها في حاضره بل تشمل ما حدث منها في الماضي أيضاً. ويمكن القول أن التاريخ كان وما يزال معرفة ملازمة لفكر الإنسان وطبيعته. وقد مرت هذه الصلة الوثيقة بين الإنسان والتاريخ بمراحل متعددة، تطورت خلالها تلك المعرفة البدائية من صورتها الشفاهية الحسية الى أن بلغت مبلغ العلم، وارتقى معه الفكر التأريخي ليلتحم الفكر الفلسفي ساعياً لحل مشاكل التاريخ كعلم، بل مشاكل البشرية – كما أراد بعض فلاسفة التاريخ المعاصرين، من خلال فلسفة التاريخ.

كانت الرواية الشفهية في الصورة البدائية الأولى للتاريخ كمعرفة قبل أن تعرف الكتابة، فقد كان الإنسان يقص على أبنائه وأحفاده. أو سواهم قصص أسلافه ممتزجة بالأساطير، وذلك قبل أن يتدرج التاريخ في الرقي ويمتزج، بعد مرحلة الرواية الشفهية، بعناصر فنية كالرسم والنقش وغير ذلك مما يدخل اليوم في عداد الآثار التي تكون مصدراً من مصادر التاريخ. ثم يبلغ مرحلة التدوين بعد اكتشاف الكتابة في بلاد ما بين النهرين أولاً حوالي سنة(٣٣٠٠ق. م) ثم في حدود سنة (٣٠٠٠ ق.م) في مصر و(٢٠٠٠ق. م) في الصين. ولعل ما يفسر التلازم بين الإنسان والتاريخ الشفهي هو تميز الإنسان باللغة التي استطاع بواسطتها أن يتفاهم مع الآخرين من بني جنسه، وينقل أليهم من خلالها خبراته وتجاربه، ومنها، بالضرورة، أحداث الماضي، وهذا هو التاريخ الشفهي الذي تضمنته الروايات

والقصص والحكايات الشفهية، كانت تشوبه غالباً عناصر خيالية وأسطورية تحاكي طبيعة تلك الروايات التي تمجد فيها البطولة والمغامرة، وتبرز فيها الرؤى الغيبية لقوى خارقة تتحكم في مصائر البشر كالآلهة وظواهر الطبيعة. ويرجح أن معظم موروث الحضارات القديمة من الملاحم والقصص كان يجري لحقب طويلة على الألسن فحسب قبل أن يحفظ بالتدوين، كـ(ملحمة كلكامش) في حضارة بلاد ما بين النهرين و(أسطورة أيزيس وأوزريس) في الحضارة المصرية (الإلياذة والأوديسا) في الحضارة اليونانية.

لقد حفلت الأساطير برؤى وتفسيرات للحياة والكون والإنسان. إذا حاولت تفسير خلق الإنسان وأفعاله ومصيره لذلك عدت أسطورتا (الخليقة) و(الطوفان) في أدبيات أمم العالم القديم بأجمعها، أساس الأساطير كلها.

عبرت أساطير نشأة الخلق لدى الأمم القديمة عن محاولات قامت بها البشرية الأولى للتعرف على كنه بداية الحياة على الأرض وتفسير مغزاها أذ تكشف هذه الأساطير عن فكرة التطلع الإنساني الدائب الى الكشف عن بواعث الأحداث والرغبة في التنبؤ بسيرها، والتحكم في مصيرها، كما أنها لا تخلوا من محاولة للعثور على معنى لحياة الإنسان. والواضح أن هذه الأساطير خلصت الى أن الآلهة هي الي تتحكم في طبيعة الحوادث التي تمر بها البشرية عبر تاريخها في جوانب حياتها المختلفة ... اجتماعية واقتصادية ودينية وسواها.

وكانت الأساطير أحياناً تفسير حوادث التاريخ تفسيراً بطولياً من خلال دورانها حول مؤسسي السلالات الحاكمة وحول ملوك الماضي السحيق، وتأثيرهم في توجيه مسار التاريخ من خلال حروبهم وحملاتهم العسكرية وأعمالهم الأخرى.

التفسير الأسطوري للتاريخ

تشير الوثائق التي تشكل أحد مصادر التاريخ الى وعي الأنسان المبكر بحركة التاريخ، وهذا الوعي بداية التأسيس المعرفي والحضاري لدى الامم القديمة، معبراً عنه بنوع وطريقة عيش الأنسان التي تحددها العلاقة الجدلية بينه وبين الطبيعة، ومدى قدرته على تسخيرها والاستفادة منها، كما يعكس وعيه بنوع العلاقات بين ابناء المجتمع الانساني، وحصيلة ذلك الوعي سن القوانين والشرائع لتنظيم الحياة الاجتماعية بين الناس، فضلاً عن إحساسه بأهمية البحث عن أسباب الاحداث التاريخية وحركاتها التي هي حصيلة جهد الأنسان في تفاعله

مع الواقع المحيط به، مما يترتب على ذلك وعي الأنسان بالتاريخ من خلال إحساسه بعامل الزمان والمكان اللذين يشكلان أركان التاريخ .

لقد أدرك الأنسان القديم أسباب حركة التاريخ ومدى استفادة الاجيل منها، كما أدرك أن الحاضر لا ينفصل عن الماضي من خلال استذكاره في مواقف معينة واستثمار حكمة الماضي وتجربة الأسلاف لتعزيز مسيرة الحضارة الى الأمام، إن عبرة التاريخ وحكمته نجدها بعد تنقية لنصوص (الشعرية والنثرية) من خلال إطارها الأسطوري من المبالغات التي جاءت اللغات التي جاءت بها، تكشف عن نشاط الأجيال السابقة وتجربتها الحضارية في مراحل متسلسلة من احداث ترتبط بعامل الزمن وتحدد تاريخ مضى، ووقعت على مكان محدد ن جغرافية الكون معبرة عن توافق الإرادة الإلهية (حسب تصور أنسان ما قبل الأديان السماوية) مع إرادة الأنسان الواعي الباحث عن الخير والعدل من خلال سلطة عادلة عقلانية تقود عملية حياة الأنسان ووجوده على الارض نحو الرقي والتقدم. ومن الجدير بالملاحظة أن بحث الأنسان عن الحق أو بحثه عن السبل التي توصله الى ذلك. كان الدافع الاساس لاهتمامه بالتاريخ سواء احتوت أحداثه على الحقيقة أم لا، فهو دليل على أن أنسان الماضي كان يعي حركة التاريخ الذي نتج عنه (أي الوعي) التأسيس الحضاري الذي ارتقى لاحقاً وبلغ حالات متقدمة .

أن انطلاق المعرفة التاريخية من أسس غايتها البحث عن جدوى قيمة دراسة التاريخ، كان السبب الأساس في بناء نظريات تفسير التاريخ التي اتخذت كل واحد منها عاملاً أو مجموعة منن العوامل أرجعت حركة التاريخ إليها، ففي الماضي البعيد كانر التاريخ ينحني منحى أسطورياً ت التاريخ الأولي للإنسان تمثل سلسلة من الحوادث المترتبة والمترابطة التي تعبر عن وعي الأنسان بواقعه الاجتماعي الذي يشكل التاريخ، ثم تطورت نظرة الأنسان الى عوامل الدفع التاريخي وتعددت النظريات في ذلك، وسنتطرق إليها بالتفصيل في فصول لاحقة، إن الطقوس والمعتقدات الدينية كانت ذات مكانة عظيمة عند الشعوب والقبائل القديمة، فقد مارست تلك الشعوب عبادة قوى الطبيعة ومظاهرها ثم تطورت تلك العبادات حتى ارتفعت الى مراحل متطورة حين توصل الأنسان القديم الى فكرة التوحيد في تصور الآلهة، بعد أن تجاوز المعتقدات البدائية كالعبادات الطوطمية وعبادة قوى الطبيعة وعبادة الكواكب وغيرها، وآمن بفكرة الروح والخلود بعد الموت وأدرك الغاية من حياة الأنسان واحداث التاريخ

لقد ارتبطت تلك التصورات بنشاطات الأنسان السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكان أثرها واضحاً على حياته اليومية من خلال الأثر الكبير الذي منحه الأنسان في التحكم بمصيره مما جعل لها أثراً بارزاً في حركة التاريخ من خلال تحكمها في أحداثه وتسييرها كما في الملاحم القديمة (العربية واليونانية)، تلك كانت التصورات الاسطورية للتاريخ عند القدماء .

يختلف الكثيرون في أدراك الفرق بين معنى الخرافة والأسطورة لأن الأثنين لهما التصور نفسه لدى اناس، لكن الفرق بينهما كبير، فالخرافة في اللغة جاءت خرف خرفاً أي فسد عقله"، ومصطلح التخريف المشتق من خرف يعني الكلام المزيف الباطل الذي لا يمت الى الحق والعقل بشيء، لذلك ظن البعض أن الخلافة نشأت عن سيادة أهواء النفس وأنفعالاتها عن العقل، أما الأسطورة التي هي أقرب الى الحقيقة من الخرافة، فجاءت من الفعل سطر أو رتب الحوادث ترتيباً منظماً، وسنفصل الحديث عنها لاحقا

التفسير الخرافي للتاريخ

ترتبط الأسطورة بالخرافة الشعبية ارتباطا وثيقاً، فالأسطورة وليدة الخرافة والأثنين حكايات شعبية تعمل على تحييد العقل أو تجاوزه والمبالغة في تصور الأحداث التاريخية واستخدام الرمزية والخيال، وفي الغالب تكون أحداث التاريخ الأسطوري أحداث وقعت فعلاً لكنها لم ترو أو تنقل كما هي، بل أضيفت لها من الخيال الإنساني وعبر مراحل طويلة من تناقلها على ألسنة الشعراء والقصاصين فأصبحت تسمو على الواقع وتفوق تصورات العقل الانساني، والحكايات الخرافية التي هي اساطير في الأصل، عبارة عن بقايا معتقدات أو حكايات شعبية تصل في تاريخها الى أقدم العصور، تظهر الى الوجود من خلال تصورها لأحداث غير واقعية هي في الأصل أحداث وقعت في الماضي ولكنها تجاوزت الواقع من خلال ما أضيف إليها من خيال ومبالغة .

وتتكون الحكايات الخرافية من مجموعة من الحكايات المختلفة يجتمع بعضها الى بعض مرة اخرى مكونة سلسلة صغيرة من الموضوعات التي يطلق عليها لفظ الحوادث، ومن مجموعة الحوادث تلك تتكون الحكاية الخرافية، وفي الأغلب كانت الاساطير تستمد وجودها من تلك الحكايات، لذلك فالعلاقة وثيقة بين الحكايات الخرافية والاساطير باعتبارهما يستمدان وجودهما من أصل واحد. إن مدى يقينية الحكايات الخرافية مثار جدل بين الفلاسفة والعلماء، فقد وصفها بعضهم باللاعقلانية والعبث، وعند البعض الاخر كانت منبع

الحكمة، وبعضهم رأى فيها تعبيراً عن تأملات أنسان الماضي واحاسيسه وبقايا قواه وخبراته الشاعرية، ولكن لا يمكن إغفال تأثير العادات والتقاليد الدينية وطقوسها في تأصيل تلك الحكايات .

أن اختلاف مضامين الحكاية الخرافية وأهدافها جعلها متنوعة الاشكال ومتعددة، فقد شملت الحكايات الميثولوجية وحكاية السحر الخرافية، والحكايات الخرافية المتعلقة بالحيوانات وحكايات أصول القبائل والشعوب وغير من حكايات أخلاقية هزلية، ومن الجدير بالذكر أنه يمكن أن تكون الحكايات الخرافية نقداً أو تمرداً على الحكايات الشعبية، لذلك كانت الأولى أبعد عن الحقيقة من الثانية لأن الحكايات الشعبية هي في الأصل أحداث واقعة فعلاً، لكنها اتخذت طريقها الى الخرافة بعد مرورها بمراحل متعددة جعلتها تسمو على الواقع بعد أن أضيفت لها من خيال الشعراء والرواة لتكون قطعة فنية خالية من الواقعية، وفي أغلب الظن أن الحكايات الشعبية هي في الأصل تعبير عن رغبات الشعوب وطموحاتها وأمانيها التي أنتجتها، كسيادة العدل والحق وانتصار والخير وخلود الأنسان وغيرها من أهداف كان الأنسان يسعى لتحقيقها حتى ولو في الخيال، لذلك كان الخيال العامل الأساس في إخراج الحكايات الشعبية عن واقعيتها.

تعد الحكايات الخرافية تعبيراً رومانسياً عن آمال الشعب الذي يرتاح الى هذا التعبير لأنه يصور له العالم الجميل الذي يصبو إليه، لذلك يمكن القول أن الحكايات الخرافية التي هي في الأصل حكايات شعبية تعبر عن تاريخ الشعوب وهي جزء من تجارب الإنسانية، وإن تراثنا العربي يزخر بالحكايات الخرافية التي عبرت عن واقع الحياة الاجتماعية وطموحات الأنسان العربي أنذاك، والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي التراث والمعتقدات العربية القديمة نجد الكثير من الحكايات الخرافية التي تعالج جوانب متعددة من حياة المجتمع العربي القديم وسيرة بعض رجاله، فمثلاً تعبر سيرة عنترة بن شداد عن رفض العبودية والتفرقة العنصرية، فيما تعبر سيرة الأميرة ذات الهمة عن تطلع المرأة العربية الى المساواة مع الرجل في حقوقها وواجباتها، وغيرها ممن الحكايات التي تعبر عن طموح المجتمع العربي أنذاك .

أن الحكاية الخرافية عبارة عن حادثة حقيقة فسرت تسيراً خاطئاً، ويرجع ذلك الى الكتاب والقصاصين (الرواة) الذين تناولوا تلك الحوادث وبالغوا فيها وأضافوا لها من خيالهم ما يجعلها تخرج عن نطاق التاريخ الى الخرافة، والخرافات مع كل ما فيها من مبالغات وحوادث مصنوعة تدخل مع الايام في خيال الامم ثم يتناولها الكهان والقصاصون والشعراء بالتبسيط

والتأنق بالتشبيه والاستعارة، ثم يتناقلها الناس جيلاً بعد جيل حتى تعدو قطعة فنية وادبية في حياة الأمة وحضارتها، وهكذا تكون تلك الحكايات جزءاً مهماً من تاريخ الأمم ويمكن اخذ العبرة والحكمة منها وتمثل تاريخ الحقيقة التي تصور لنا أحداثها .

فهم التاريخ لدى العراقيين والمصريين واليونانيين والرومان :

ارتبطت النظريات الأولى في تفسير التاريخ ببدايات تبلور الفكر التاريخي في الحضارات القديمة. وكانت البدايات تلك ترتبط بدورها باكتشاف الكتابة أداة التدوين التاريخي. أن هذا التدوين قد بقي محدوداً في أغراضه وآفاقه عموماً، دون أن يشكل منه(وعي تاريخي) يدرك أهمية تدوين ماضي حركة الإنسان والمجتمع في عملية التكوين الحضاري. ثم لابد لهذا الوعي أن يمر بماحل زمنية كيما يترسخ ويكون قاعدة لبناء (فكر تاريخي) عليها، له رؤى وتصورات شاملة – ضمن إطار التكوين الفكري العام – لحركة التاريخ، ليكون لتلك الرؤى القدرة على صياغة (نظريات) عديدة في تفسير التاريخ. فهي أذن مراحل: كتابة تدوين تاريخي وعي تاريخي فكر التاريخي نظريات تفسير التاريخ.

مارست الحضارات القديمة لاسيما تلك التي قامت في وادي الرافدين والنيل أشكالاً متعددة من التدوين التاريخي بعد اكتشاف الكتابة، كان أهمها جداول الملوك والسلالات الحاكمة، والمدونات المعروفة بـ (التواريخ). وكانت جداول الملوك في حضارة وادي الرافدين، فضلاً عن مدونات الأحداث التاريخية العامة المعروفة بالتواريخ، تعكس وعياً تاريخياً كان يتلمس طريقة في ذلك الوقت المبكر ليرقى نحو صياغة فكر تاريخي يتواءم مع قيم الحضارة التي ينتمي إليها ومقدار رقيها. فجداول الملوك كانت ((تنطوي على مغزى تاريخي يقرن الأحداث الكبيرة بقادة كبار من جانب ويعطي للمستقبل وللأجيال اللاحقة موقعها ... وهو أمر أنطوى عليه معنى التأريخ والقمر والتدوين والتقويم في الفكر القديم.)).

كما ظهرت المكتبات التاريخية مثل مكتبة آشور بانيبال التي سعى مؤسسها الى حفظ أبرز المدونات السابقة لعهدهم. ،وظهر عدد من (الحكماء المؤرخين) الذين كانت نتاجاتهم التاريخية تنطوي، فضلاً عن خبرتها التاريخية ورحابة أفقها الفكري، يمكن عدها نظريات أولى في تفسير التاريخ. وكان على سبيل المثال، (كابتي أيلاني – مردوخ) الذي عاش في

القرن الثالث عشر قبل الميلاد من هؤلاء، إذ دون ملحمة آله الطاعون البابلي (أيرا)، التي تعد، أقدم نص في فلسفة التاريخ، وتضمن هذا النص رؤيته عن هدف التاريخ، وعوامل حركته، ودورانه بين النهوض والانحطاط. فالتاريخ عنده يتحرك (بشكل دوري)، فعصر الأزدهار والنهضة تتبعه مرحلة من التراجع وانهيار الحضاري التي تؤدي بدورها الى اضطراب المعايير، وحدوث تحلل اجتماعي وغزو أجنبي. بيد أن ذلك، في نظره استشراف للمستقبل، سوف تتبعه مرحلة نهوض جديدة تتمكن من القضاء على عوامل التخلف، وتعيد الأوضاع الى عهد ازدهار جديدة في المجالات السياسية والاجتماعي والاقتصادي، وهكذا دواليك على أن فكرة الحركة الدورية في الفكر التاريخي العراقي القديم كانت ترتبط بـ (حركة الأفلاك)، إذ أدرك العراقيون القدماء منذ عصر الأكديين أن الزمن أو التاريخ تيار مستمر يتكون من حقب ذات طابع حيوي دوري، تعود فيه كل حقبة بتوقيت فلكي الى نقطة انطلاقها الزمنة الأولى، وعادة ما تبدأ الدورة عندهم بالآلهة ثم السلالة ثم الدولة ثم الحاكم فالكواكب في حركة مستمرة لا تتوقف صعوداً ونزولاً. وقد وجدت فكرة التعاقب الدوري، فيما بعد، في نظريات تفسير التاريخ في الحضارات الشرقية القديمة، قبل أن تنتقل فيما بعد الى الفكر اليوناني، لتظهر في وجهات نظر كثير من فلاسفة اليونان ومؤرخيهم، فقد ضمن المؤرخ اليوناني ثوكيدويدس (٤٧١ – ٤٠١ ق.م) كتاباته التاريخية أفكاراً عن مسيرة التعاقب الدوري للتاريخ، وبصورة عامة، فإن منهج ثوكيدويدس اتصف بالنقد والتحليل لأحداث التاريخ التي دونها.

أما أفلاطون، فقد تضمنت آراءه الفلسفية بتصورات عن تفسير التاريخ تقوم على فكرة التعاقب الدوري ... فأفلاطون كان يرى أن هناك تكراراً دورياً وعودة مستمرة للعصور. وعلى الرغم من أن (محاوراته) قد خلت من نظرية منتظمة واضحة لمسيرة التاريخ وطبيعتها، فإن تلك المحاورات كانت تحتوي على إشارات ضمنية كثيرة أليها. وبصورة عامة، فإن أفلاطون كان يرى (أن العملية الكونية بمجملها تعتبر عملية دورية) .

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة الثالثة

ثالثاً : تفسير الديانات السماوية الكبرى للتاريخ

تلتقي عملية تفسير التاريخ في الفكر الديني لاتباع رسالات السماء الكبرى، اليهودية ، المسيحية والأسلام على أرضية مشتركة تستمد وجودها ووحدتها من وحدة العقائد السماوية التي جاءت بها هذه الرسالات عن الخالق والكون والإنسان والحياة، وإن أحتوت هذه العقائد تفاصيل كثيرة قد لا يتطابق بعضها مع البعض الآخر بين ديانة وأخرى.

وتجمع العقائد السماوية على أن الله تعالى قد خلق الكون من العدم، وخلق الإنسان ليؤدي مهمته في إعمار الأرض خليفة لله تعالى. ثم ليرجع الإنسان بعد موته فيبعث ويقف بين يدي الله ليحاسبه على أعماله في هذا العالم الدنيوي. وتلك كلها تمثل (مسيرة تاريخية) بدايتها الخلق ونهايتها البعث والحساب. ورحلة الإنسان بين تلك البداية وهذه النهاية تجسد مسيرة التاريخ البشري العام. ومن ثم يغدو يوم القيامة هو غاية التاريخ ونهايته. على أن هذه الرحلة قد حظيت على الدوام، ومنذ بداية الخلق، برعاية الله وعنايته وتوجيهه للإنسان لما فيه خير المسيرة (التاريخية) البشرية. وتجلت تلك العناية بتتابع الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله تعالى ليرشدوا الناس الى الطريق القويم الذي يريد لهم الخالق أتباعه.

أ – التفسير الديني عند اليهود :

أهتم اليهود بالتاريخ وذلك يظهر من الأسفار الأولى للتوراة إذ أن محتوياتها وأساليب عرضها تدل أيضاً على تفسير تلك الأحداث وأستيعاب دوافع واتجاهات صناعها والمشاركين فيها، ومن ثم علاقة ذلك كله بالإله لما له من حضور دائم في حركة التاريخ. يتصف بالرعاية والعناية.

في الواقع الأمر فإن الاعتقاد اليهودي بعلاقة الله بالتاريخ هو اعتقاد مشترك لاتباع الديانات السماوية والأساس الذي يقوم عليه تفسيرهم للتاريخ.

فبداية التاريخ البشري عند اليهود، كما جاء في سفر التكوين من العهد القديم، ترجع الى الله تعالى، فالله هو خالق البشر، وخالق الأرض ومانحها الخصائص التي تجعل من عيش الإنسان عليه وحركته فيها أمراً ممكناً لأجل معلوم عنده من الزمان.

وكما ورد في (المزامير) فإن الإيمان بالله (الخالق) اعتقاد أساسي في اليهودية، وكذلك الإيمان بأن الزمن يجري بأمره ((فالرب ملك الدهر والأبد)) وهو دائم الوجود ((في جميع ما في التاريخ من الأماكن والأزمان)) فالله هو المحرك للتاريخ ((يتصرف في تاريخ الإنسان وله فيه هدف تمثل فيها الحياة خاتمة المطاف، بل لابد من الوصول الى يوم (الدينونة) الذي يعد نهاية للمسيرة التاريخية البشرية كما يصرح سفر (يهوديت) من الكتاب المقدس. وهو يوم يشهد فيه الناس حساباً على الأعمال التي قاموا بها خلال تلك المسيرة، ومن ثم يثابون أو يعاقبون عليها، لأنهم أقترفوها بمحض إرادتهم لأن الإنسان له حرية مطلقة في الامتثال لأوامر الرب أو عصيانها كما توحي بذلك قصة آدم وحواء في سفر التكوين)).

وفيما يتعلق بتاريخ اليهود وموقعها من التاريخ البشري، يرى بعض اليهود الذين استحوذت عليهم فكرة (شعب الله المختار)، أن الشتات الذي عاشه اليهود وعد كارثة

كبرى في تاريخهم، لم يكن هكذا في واقع الحال، وهو ليس عقاباً من الله، وقد سمح به الرب، ولم يسمح به فحسب بل جاء منه فضلاً على اليهود لكي ينقذوا رسالتهم الدينية باعتبارهم الشعب المختار. وهكذا مارست فكرة (الشعب المختار) في نظر هؤلاء دوراً ليس في تاريخ اليهود فحسب، بل في مسيرة التاريخ العام للبشرية كما تدفعها لتحقيق أهدافها ووصول التاريخ الى غايته.

وتجدر الإشارة الى أن الكتاب المقدس(العهد القديم) تضمن بعض التصورات لمسيرة التاريخ، كان منها ما يماثل فكرة التعاقب الدوري، إذ ورد في(سفر الجامعة) في العهد القديم:((ما كان فهو الذي سيكون وما صنع فهو الذي سيصنع فليس تحت الشمس شيء جديد)). وهو ما قد يشير الى تكرار الأحداث التاريخية بشكل دوري، إلا أن مثل هذا التكرار يتعلق، كما نرى بالتواريخ الخاصة، وذلك أن التاريخ البشري بمجمله له بداية كما أن له نهاية، في يوم الحساب. إلا أن هذا التكرار لا يتضمن تقدماً متواصل في التاريخ وأنما تعاقب لأوقات رخاء وأوقات شدائد.

ب – التفسير الديني عند المسيحية :

أنطلق التفسير الديني المسيحي للتاريخ من الموروث العقائدي اليهودي الذي كان يربط بين ويفسر هذه الحركة بمسيرة البشرية التي تبدأ بالخلق وتنتهي بالبعث والحساب، وهو تفسير أجمالي جامع بين الديانات السماوية كما مر بنا، ويستند الى وحدة العقائد السماوية في أصولها ومنابعها الرئيسية. بيد أن التصورات الفكرية التي أسقطها القديسون ورجال الدين، الذين نَظّروا للمسيحية فكراً وعقيدة وعملاً، على أن هذه الديانة منذ وقت مبكر من تاريخ وجودها، أضفت على عملية تفسير التاريخ ملامح كثيرة مختلفة عما كانت قد أفرزته الديانة اليهودية، فقد أمتلكت المسيحية رؤية خاصة

لقضايا التاريخ الكبرى، وموقع المسيحية منه، تتمثل في مفاهيم الخطيئة والتجسد والفداء والقيامة وعودة المسيح.

كما أن موضوع التوحيد كان له أثر مهم في تبلور نظرة مسيحية خاصة في تفسير التاريخ ذلك أن الإيمان بعلاقة حركة التاريخ البشري بالإله الخالق في التفسير الديني للتاريخ عند أتباع الديانات السماوية، كان له منظور مغاير لدى المسيحيين، أوجدت عملية تحول عقيدة الإيمان بوحدانية الله تعالى. وهي أصل الاعتقادات الدينية السماوية كلها وحجر الأساس لها بما فيها المسيحية الى عقيدة التثليث التي منحت كل واحد من الثلاثة (الأب، الأبن، الروح القدس) موقعاً في مسيرة التاريخ البشري، فالأب (الله) هو خالق الدنيا وبارئ البشر، ومن ثم فهو موجد المسيرة التاريخية البشرية وواضع منطلقاتها. والأبن (المسيح) هو المخلص الذي كان دوره في تلك المسيرة أرجاع التاريخ الى هدفه الذي أراده الله منه. أما الروح القدس فمهمته رعاية الكنيسة المسيحية لأقامة ملكوت الله على الأرض كجزء من مسيرة التاريخ البشري، وذلك خلال زمن غياب المسيح بعد قيامته وصعوده الى السماء.

ومع ذلك يكون القول أن التفسير المسيحي للتاريخ كان من حيث أصوله استمرار للتفسير العبراني للتاريخ، ذلك أن حركة التاريخ البشري في كلا التفسيرين ظلت مرتبطة بالألوهية، على الرغم من أنعكاس غضب الله وانتقامه عليها، وتحول ذلك الغضب الى رحمة وفداء وخلاص من الخطيئة للمؤمنين بالمسيح (أبن أله)، فإذا كان الله يتجلى في تاريخ اليهود منتقماً من العاصين، فقد تجلى في تاريخ المسيحية مخلصاً للمذنبين.

أن التفسير المسيحي للتاريخ البشري يجعل منه مسيرة تبدأ بالخلق وتنتهي بالبعث والحساب، مروراً بتفاصيل رئيسية كبرى تواكب هذه المسيرة وتحدد ملامحها، وكان أبرزها رسالة المسيح – وتضفي عليها أبرز عقائد المسيحية لعقود من الزمن.

وواضح أن ظهور المسيح وتبشره برسالته يكون أهم مراحل التاريخ البشري على وفق مفهوم التفسير المسيحي، فليس للتاريخ أي دلالة إلا في الفداء الروحي للبشرية. وجاء ظهوره ليعبر عن دخول الله في التاريخ منجداً في صورة بشرية يمثلها (أبنه) المسيح، وليحقق (الأبن) أغراضاً كبرى في نطاق مسيرة التاريخ البشري أبرزها :

١. تأسيس الكنيسة المسيحية وبث تعاليم السماء من خلالها، والدعوة الى أقامة ملكوت الله في الأرض، أي إقامة مملكة تطبق فيها أحكام الله التي بشر بها المسيح ونشرها بين الأمم بواسطة الكنيسة المسيحية، ومن ثم أضطلعت الكنيسة المسيحية بمهمة التبشير بالأنجيل وتعاليم المسيح بعد غيبته عن الأرض ورفعه الى السماء، وترسيخ المهمة التي بدأها بإقامة ملكوت الله في الأرض. ولذلك أصبح للكنيسة، كما تقيم مملكة الله في الأرض، سلطات زمنية واسعة هيمنت من خلالها على جميع نواحي الحياة في أوربا خلال القرون الوسطى بما فيها الحياة السياسية، وهي سلطات يراها الفكر الديني المسيحي نفسه من خلال تخويله لحوارية (بطرس) شؤون الكنيسة المسيحية.

٢. يرى الفكر الديني المسيحي أن العناية الإلهية متمثلة بـ (الروح القدس) وهو الأقنوم الآلهي الثالث في عقيدة التثليث، هي التي ترى مسيرة الكنيسة المسيحية في العصور التي تسبق عودة المسيح الى الأرض، لتؤدي الكنيسة مهمتها في أقامة ملكوت الله على الأرض وتتمثل رعاية الروح القدس للكنيسة باختيار رجال الدين لها ليقوموا بإدارة شؤونها، وتوجيههم في أعمال نحو ما يضمن حسن أداء الكنيسة لمهامها في جميع العصور.

٣. تخليص البشرية بوفاته على الصليب وافتدائه بنفسه لها من أرض خطيئة آدم.

٤. قيامه بعد الصلب من بين الأموات وصعوده الى السماء لمنح البشر تأكيداً بخلودهم().

ج – التفسير الإسلامي للتاريخ :

يستند التفسير الإسلامي للتاريخ الى أصول الإسلام ومصادره وفي مقدمتها (القرآن والسنة) حيث يرى أن تاريخ البشرية تاريخ واحد متصل يبدأ بخلق الإنسان وينتهي بالحساب ويوم القيامة ويمر بمراحل ومحطات أهمها، تتابع الرسل والنبوات، التي كانت الرسالة الإسلامية آخرها. وهو تاريخ شامل لأمم العالم جميعاً، لذلك دأب كثير من المؤرخين العرب المسلمين الأوائل على كتابة التاريخ أنطلاقاً من (الزمان) ثم ابتداء الخلق وعدد أيامه، وخلق آدم، ثم تدوين تاريخ الرسل والأنبياء على وفق التتابع الزمني لرسالاتهم، وذلك كما فعل أبرز المؤرخون العرب مثل الدينوري واليعقوبي والطبري والمسعودي.

ومن ثم كان خلق آدم من قبل الله تعالى بداية للتاريخ، فالله هو خالق كل شيء ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ (الفرقان : ٢) وهو خالق السماوات والأرض وخالق الإنسان ﴿ وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ (النحل : ٧٠) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء ﴾ (النساء : ١) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨).

ذلك أن الله تعالى هو علة الوجود بأكمله. على أن خلقه للإنسان تميز بتكريم هذا المخلوق وتفضيله على كثير من مخلوقاته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(الإسراء : ٧٠).

وبذلك تهيأت بخلق آدم عناصر التاريخ الثلاثة : الإنسان، والمكان (الأرض) والزمان، اللذان خلقهما الله تعالى من قبل خلق الإنسان، وبدأت البشرية، بآدم وذريته، مسيرتها (التاريخية) التي كللها الله برعايته، وهيأ لها سبل الاستمرار، فبعث الرسل والأنبياء

هادين ومبشرين ومنذرين، وليذكروا الناس بالرسالة الواحدة، وبطبيعة المهمة التي أرادها الله لإنسان في الحياة الدنيا. وكان خاتم أولئك الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويتضح من خلال التفسير الإسلامية للتاريخ أن طبيعة المسيرة التاريخية لأية أمة من الأمم ترتبط بمدى تصديقها برسالة السماء وتحقيقها للمبادئ والأهداف الاعتقادية والسلوكية والقيمية التي تنزل بها. لذلك كانت هناك في التفسير الإسلامي للتاريخ آجال معينة ينتهي معها وجود كل أمة من الأمم في الحياة الدنيا ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٤). وكما أن للمكان الذي يكون ركناً من أركان التاريخ الثلاثة (الزمان، المكان، الإنسان) أجل أيضاً ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الروم : ٨)

وأن أنقضاء آجال الأمم هي (نهاية التاريخ التي تتمثل بالوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة للحساب للفوز بالثواب والخلود في النعيم أو الخسران والعقاب والخلود في الجحيم في الحياة الأخرى) .

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة الرابعة

نظرية التعاقب الدوري للحضارات عند ابن خلدون

- **حياته:**هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين ابن خَلدون ،ولد ابن خلدون بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ (٢٧ مايو سنة ١٣٣٢م).لما بلغ سن التعليم بدأ بحفظ القرآن وتجويده حسب المنهج الذي كان متبعًا في كثير من البلاد الإسلامية، تتلمذ على أيدي الكثير من العلماء والشيوخ، وفي مقدمتهم أبوه، فقرأ القرآن بالقراءات السبع، وبقراءة يعقوب الحضرمي، ودرس العلوم الشرعية؛ من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي، وأصول وتوحيد، ودرس العلوم اللسانية؛ من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب، ثم درس المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية فيما بعد، وحظي في جميع دراساته بإعجابهم ونال إجازاتهم. غير أن ابن خلدون قد انقطع عن الدراسة في وقت مبكر بسبب هجرة العلماء والأدباء من تونس بعد وباء جارف سنة ٧٥٠ هـ، وكان ابن خلدون حينئذ قد بلغ الثامنة عشرة من عمره، فبدأ يشتغل بالوظائف العامة والسياسة، مع متابعة مستمرة للقراءة والاطلاع والكتابة والتعليم.

تقلد الحجابة لكثير من الأمراء، وسفر لدى حكومات كثيرة، في إسبانيا وإفريقية، وفي البلاط النصراني في إشبيلية، وحضر في بلاط تيمورلنك بدمشق.تفرغ للتأليف نحو ثمان سنين، فألف خلالها كتابه : "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ووضع له مقدمته الشهيرة بمقدمة ابن خلدون. عمل بالقضاء والتدريس قرابة ٢٤ سنة قضى معظمها في مصر.وفي السادس والعشرين من رمضان سنة ٨٠٨ هـ (١٦ مارس ١٤٠٦م) توفي العلامة ابن خلدون فجأة عن ستة وسبعين عامًا.

- **<u>أهم مؤلفاته:</u>**

١- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:

وهو أكبر مؤلفات ابن خلدون رحمه الله، وهو سرد تاريخي لجوانب من التاريخ الإسلامي وبخاصة في الشمال الإفريقي على النمط التقليدي، لا يعكس المميزات الفكرية التي عرف بها ابن خلدون في مقدمته.

٢- المقدمة:

وهو مجرد مقدمة لكتابه "العبر"، ولكنه يمثل تصوره لعلم التاريخ، ونظريته في التمدن الإنساني، وتحليلاته لذلك التمدن ومراحله وظواهره وقوانينه، مطبقًا ذلك كله على الحضارة الإسلامية، وتجلياته الفكرية؛ شرعية ولغوية وعلمية وفلسفية، ومن ثم اشتهرت المقدمة كأنها كتاب مستقل عن أصله، واشتهر به مؤلفه على مستوى العالم باعتباره قمة من قمم الفكر الإسلامي.

نظرية التعاقب الدوري للحضارات

أطوار الأمم:

١- طور البداوة.

٢- طور الحضارة والدولة.

٣- طور الهرم والفناء.

أطوار الأمم

لقد قسم ابن خلدون الحضارة إلى عدة أطوار، وذكر أن هذا أمر معلوم بالمشاهدة.

الطور الأول: طور البداوة؛ قال ابن خلدون:

"اعلم أن هذه الأطوار طبيعية للدول فإن الغلب الذي يكون به الملك إنما هو بالعصبية وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا إلا مع البداوة فطور الدولة من أولها بداوة ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال.

فإذا ما كانت الدولة والحضارة وهي **الطور الثاني** كانت لها هذه الأطوار الخمسة؛ قال ابن خلدون:

"اعلم أنَّ الدَّولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجدِّدة، ويكتسب القائمون بها في كلِّ طَور خُلقًا من أحوال ذلك الطَّور، لا يكون مثله في الطَّور الآخر؛ لأنَّ الخلق تابع بالطَّبع لمزاج الحال الذي هو فيه، وحالات الدَّولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار:

الطَّور الأوَّل: طور الظَّفر بالبُغية، وغلب المدافع والمانع، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدَّولة.

الطَّور الثَّاني: طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالمُلكِ.

الطور الثالث: طور الفراغ والدَّعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبُعدِ الصَّيت.

الطور الرابع: طور القنوع والمسالمة.

الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير.

وهنا يأتي **طور التدهور والانحلال.**

فالحضارة عند ابن خلدون تتعاقب على الأمم في ثلاثة أطوار: هي طور البداوة، ثم طور التحضر، ثم طور التدهور الذي يؤدي إلى السقوط.

– فأما طور البداوة فيمثل له ابن خلدون بمعيشة البدو في الصحاري، والبربر في الجبال، والتتار في السهول، وهؤلاء عند ابن خلدون لا يخضعون لقوانين مدنية ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم.

– وأما طور التحضر: فهو طور تأسيس الدولة عقب الغزو والفتح، ثم الاستقرار في المدن، والتمكن من العلوم والصناعات، وهذا الطور يقوم على الدين والعصبية.

– وأما طور التدهور: فيأتي في نهاية التحضر، بعد مرحلة الازدهار، ووصول الناس إلى مرحلة الانغماس في الترف، والتحلل في الأخلاق، وتغير العادات إلى المناكر، والتواضع عليها.

وقد انتهى ابن خلدون من خلال نظريته في تفسير التاريخ – باستثناء عشرات النظرات والآراء الجزئية – إلى عدد من القوانين اعتبرت جوهر نظريته، وهي:

١ – أن تطور التاريخ يخضع للتدافع والصراع والتفاعل.

٢ – أن العصبية الدينية والقبلية لها دور أساسي في بناء الدول.

٣ – أن الحضارة كالكائن الحي في تطوره من البداوة إلى الحضارة ثم الاضمحلال.

٤ – وأن الدول كالأفراد تخضع لدورة الحياة الفردية نفسها حتى تموت.

٥ – أن العوامل الجغرافية والبيئية مؤثرة في التاريخ.

٦ – أن للاقتصاد دورًا مهمًّا في العمران البشري.

٧ – أن الدول تسقط بسقوط العصبية والولاء للدين.

٨ – أن العرب (والإنسانية كلها) لا تصلح بغير الدين

٣– التعريف:

وهو كتاب أرَّخ فيه ابن خلدون لحياته، ولم يقتصر عليها، بل ذكر كذلك كثيرًا مما يتصل بتاريخه من الحوادث والرسائل والخطب والوثائق، ويصف أحوال كثير من المجتمعات والنظم التي كان له علاقة بها، وترجم لمعظم من عرض ذكرهم في الكتاب].

نظرية التعاقب الدوري للحضارات عند فيكو

حياة فيكو:

ولد المؤرخ والفيلسوف الإيطالي جامبا تيستا فيكو في مدينة نابولي عام (١٦٦٨) ، أي بعد ١٨ عام من وفاة الفيلسوف الفرنسي ديكارت، والتحق في سن مبكرة بمدرسة الآباء اليسوعيين، ودرس فيها اللغات القديمة، والأدب، والبلاغة، والفلسفة، والمنطق، واللاهوت، والتشريع، الأمر الذي كان له أثر كبير في تكوينه الفكري لاحقاً، وأسهم في إدخاله لهذه العلوم الإنسانية المختلفة في فلسفته للتاريخ، التي تعد ابتكاراً للدورة التاريخية في الفكر الأوروبي، لذا يعد فيكو مؤسس قواعد فلسفة التاريخ في العصر الحديث، وتبرز أهمية جهود ودور فيكو إلى المنهج الذي قدمه، وتحديده للقواعد اللازمة لهذا العلم، توفي عام ١٧٤٤م.

نظريته التعاقب الدوري للحضارات عند فيكو:

تقوم فلسفة التاريخ عند دعاة نظرية التعاقب الدوري على أن دراسة الماضي دراسة متفحصة قد تساعد على فهم الحاضر والمستقبل، ويروا بأن للحضارات أعمار محددة كما هو الحال عند الكائنات الحية، وأن مراحل حياتها تبدأ بالطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، وتنتهي بالموت، وأن معرفة المرحلة التاريخية من عمر الحضارة يمكن المؤرخ من تقدير

عمر الحضارة، وذلك من خلال دراسة الأدوات التي تعبير بها الحضارة عن نفسها، والمتمثلة باللغة والأدب والفن والشريعة وغيرها من الرموز الفكرية، فهذه الأدوات تختلف من عصر لآخر تبعاً لتطور مسيرة الحضارة في كل أمة.

استندت نظرية التعاقب الدوري للحضارات التي قدمها فيكو إلى ثلاث مسلمات كانت نواة انطلاق النظرية ويمكن إيجازها على النحو التالي:

١. على الرغم من أن كل عصر له طابعه النوعي إلا أن هناك خصائص مشتركة بين العصور التاريخية، فمثلا فترة هوميروس في التاريخ اليوناني تشابه العصور الوسطى حيث الملاحم وعصر البطولة، ومن حيث الحكم ذو الطابع الأرستقراطي، كما يغلب على الأدب طابع الشعر الغنائي، وعلى الأخلاق طابع الولاء.
٢. كل فترة تاريخية تتبع فترة أخرى على نفس الخط، ففترات البطولة نعقبها فترة يسود فيها الفكر على التخيل، والنثر على الشعر، والصناعة على الزراعة، وأخلاق السلم على أخلاق الحرب.
٣. الحركة الدائرية بين هذه الأدوار، ولا يعني هذا أن مسار التاريخ يسير في دائرة مغلقة تدور حول ذاتها وإنما هي حركة دائرية حلزونية كل دورة من دوراتها ترتفع بها عن مستوى الدورة السابقة، وهذا ينفي فكرة أن التاريخ يعيد نفسه على نفس النمط، وإنما يأتي بصور جديدة وعلى شكل مخالف لما مضى، فالتاريخ في تجدد دائم والتعاقب الدوري فيه لا يسمح بالتنبؤ.

فلكل عصر طبيعته الخاصة والتي تفرض خصوصية دراسته بشكل جديد يتوقف على فهم الظروف التي مرت بعصور مماثلة في الماضي لان الأحداث تكون متسلسلة ومتصل بعضها ببعض.

ويرى فيكو أن هناك مظاهر مشتركة بين الأمم، فكل أمة تؤمن بديانة ما، ويعارض الفكرة التي تقول بقدرة الأمة أن تعيش حياة عادلة من غير النور الإلهي المتمثل بالدين، ويؤكد على أهمية طقوس الزواج التي تعد مميزه له عن أي سلوك غير سوي يحكم مسألة ضبط العواطف بين الجنسين من أفراد المجتمع في أي حضارة إنسانية، وأن الأمم في كل الحضارات تتفق أيضاً على دفن موتاها، ويعد هذا التصرف دليل إنسانية الإنسان.

ومن المظاهر التي تكاد تكون متأصلة في كل الحضارات، نظرة الشعوب للبطل ودوره في صنع التاريخ، فالمصريون القدماء كانوا يرون في ملكهم الآلهة، وهكذا كان يرى أهل الحضارات الشرقية القديمة والهند وفارس وبابل ملوكهم، وانتقلت هذه النظرة للحكام

والقادة العسكريين في الحضارة اليونانية التي قدمت صوراً متعددة للإيمان بدور البطل بلغت حد التقديس والعبادة والتأليه للأبطال.

أدوار التاريخ عند فيكو:

يقسم فيكو التاريخ إلى ثلاثة أدوار يمثل كل دور منها مرحلة من مراحل التطور الحضاري التي عاصرتها المجتمعات:

١. دور الآلهة: وفي هذا الدور كانت الشعوب الأممية تعيش في ظل حكومات تشرع قوانينها بما يعتقد انه مشيئة الآلهة، وذلك عن طريق الرؤساء الدينيين أو وحي الكهان.
٢. دور الأبطال: حيث يكون الحكم في هذا الدور بيد الأقوياء الأبطال المحاربين، حيث يرى الناس أن هؤلاء الأبطال أسمى من البشر وتسود الأرستقراطية على نظام الحكم، وفي هذا الدور نشأت الفروسية، وجرت الحروب الصليبية.
٣. دور البشر: وفي هذه المرحلة يتم الاعتراف بسواسية البشر، وظهرت الأنظمة الديمقراطية، بعد الملكيات المستبدة.

وتبعاً لهذا الترتيب تظهر أشكال مختلفة للحكم:

١. الحكومة الثيوقراطية أو حكم الكهنة ورجال الدين، وتستند هذه الحكومة على نظرية دينية (وثنية أو سماوية).
٢. الحكومة الارستقراطية أو حكم النخبة من الأفراد المبدعين.
٣. الحكومة الديمقراطية الجمهورية أو الملكية المقيدة، وفيها يحكم الشعب نفسه عبر أدوات التعبير والمؤسسات.

ومصدر المادة التاريخية عند فيكو من الكتاب المقدس والذي مدار التاريخ فيه عن العبرانيين، وأن العناية الإلهية هي التي أرادت أن يكون مسار التاريخ على نحو ما هو عليه، من تمايز بين العبرانيين والأمميين ثم دعمت هذه العناية العقيدة المسيحية بمعجزات بفضل الشهداء المسيحيين وتعاليم آباء الكنيسة ومعجزات القديسين، ومشيئة الإرادة الإلهية بظهور أمم محاربة تعارض المسيحية مثل الأوروبيين في الشمال والعرب المسلمين في الجنوب والذين يعارضون إلوهية يسوع المسيح، وذلك تثبيتا للعقيدة المسيحية في نفوس أبنائها، إذ أدى ذلك إلى قيام الدور الأول دور الآلهة مرة أخرى ولكن في صورة أفضل ممثلاً في الملوك الباباوات حماة الدين. كذلك تدخلت العناية الإلهية في المجال السياسي إذ تناقش العوام مع الخواص في التقوى والتدين وتحمس الشعب للدين مما أدى به إلى الاشتراك في السلطة المدنية والحكومات الشعبية، ولكن لما كانت الحكومات الديمقراطية

تستند إلى الانتخابات فان العناية الإلهية قد حالت دون سيطرة الصدفة عليها فكان حق التصويت مقيدا بمقدار من الثروة وان يعتبر النشطون والمنتصرون والكرماء أليق بالسلطة والحكم.

أبرز الانتقادات التي وجهت لنظرية فيكو:

١. تتعارض النظرية مع ما توصل إليه الفلاسفة العقليين الذين يرون أن المجتمع من صنع العقلاء بينما لا يرى فيكو لهؤلاء وجوداً قبل وجود الدولة الحضارية.
٢. تطغى على أفكاره المؤثرات الدينية، المكتسبة من العهد القديم والتوراة الأمر الذي جعل آراءه بعيدة عن الواقع التاريخي أحيانا.
٣. استقى مادته التاريخية من العهد القديم الذي يدور التاريخ فيه حول تاريخ العبرانيين.
٤. التقليل من شأن الحضارات القديمة كالمصرية والبابلية والصينية، ولا يعدها من أقدم الحضارات، ويرى أن العبرانيون هم أقدم الأمم.

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة الخامسة

نظرية العامل الفردي البطولي في تفسير التاريخ :

يستمد التفسير البطولي لحركة التاريخ أسسه وجذوره من الطبيعة الخاصة لأعمال القادة والزعماء العسكريين والسياسيين وتأثيراتها الفاعلة في حياة

الأمم. فطبيعة تلك الأعمال تتسم بإمكان اتخاذ القرار الفاعل المتفرد ذي الأبعاد المهمة والخطيرة في الحاضر الذي كان معاشاً وفي المستقبل الذي يعقبه معاً. وغالباً ما تكون تلك الأعمال محور اهتمام عامة الناس وباعثاً لأعجابهم وتقديرهم لما توحي به من قدرة على تغيير مسار الأحداث، وامتلاك لقوة متميزة قادرة على التحكم باتجاهاتها لا تتأتى إلا لأولئك الزعماء والأبطال ذوي القابليات والقدرات الاستثنائية.

فمن الذي يصنع أحداث التاريخ ويؤثر في مساره : الأفراد أم الجماعات ؟ الحكام أم الشعوب ؟ هل الأحداث التي تصل الى درجة من التأثير والفاعلية من خلف ساسة وقواد بلغوا مرتبة البطولة أم أن هذه الأحداث حصيلة حضارة أسهم فيها شعب بجميع أوجه نشاطه اقتصادية واجتماعية وعلمية وفكرية وفنية وأدبية فضلاً عن أنظمته من دين ولغة وعادات؟ لمن يؤرخ : لشخصيات يراها صنعت التاريخ وأثرت فيه أم يؤرخ لحضارات ؟ ما هو محور التاريخ الأفراد أم الحضارات ؟ يبدو أن وجهة النظر الأكثر شيوعاً أن التاريخ مرتبط في الأذهان بشخصيات الساسة والقواد العسكريين.

توماس كارليل ونظرية البطل التاريخي :

من القائلين بهذه النظرية توماس كارليل (١٧٩٥– ١٨٨١) ذلك الاسكتلندي الذي دافع بحماس ومبالغة عن دور الأبطال والرجال العظام في صنع الأحداث التاريخية.

لقد تأمل كارليل مسيرة التاريخ البشري واهم المنعطفات التي شهدها التاريخ من تحولات وانقلابات وظهور للحضارات وعوامل تقدمها واندثارها فوجد أن الأبطال هم طليعة كل تغيير تاريخي وأن التاريخ لا يمكن أن يتقدم في غيابهم وأن المجتمع لا يمكن أن يتطلع إلى المستقبل ولا يمكن أن يحقق أهدافه بدون الأبطال الذين يرسمون له الطريق ويقودونه نحو الهدف المنشود فالتاريخ بهذا المعنى يصبح ذلك التجاوب بين البطل والمجتمع لأن البطل بما أوتي من ملكات وقدرات يفجر القوى الكامنة في المجتمع ويحرر آمالها وتطلعاتها فيضفي المجتمع بدوره على البطل هالة من التقديس والعرفان، يقول كارليل :«أجل إن البطل مازال معبودا منذ أودين إلى جونسون ومن المسيح إلى آخر قسيس في كل مكان وزمان وسيكون ذلك مادام الليل والنهار لأنه ما منا إلاّ من يعشق الأبطال يعشقهم ويجلّهم وينحني إكبارا لهم«.

وبذلك فإن كارليل يبني ويؤسس نظرية في التاريخ تقوم على فكرة البطل والشخصية العظيمة التي تؤثر في مسار التاريخ فخلاصة التاريخ هم الأبطال والعظماء الذين يحركون عجلة التاريخ التي لا تتحرك بدونهم وهم خلاصة الحضارة أيضا لأن كل الإنجازات الإنسانية كان وراءها الأبطال على اختلاف مشاربهم وأدوارهم يقول كارليل في هذا المعنى: «إذ في اعتقادي أن التاريخ العام تاريخ ما أحدث الإنسان في هذا العالم إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء فهم الأئمة وهم المكيفون للأمور وهم الأسوة والقدوة وهم المبدعون لكل ما وقف إليه أهل الدنيا وكل ما بلغه العالم.«

طرح نظريته في كتابة ((في الأبطال وعبادة البطولة)) وهو أبرز مؤلفاته التي ضمت آراءه عن دور البطل التاريخي. وقد وسع كارليل في كتابه هذا من مفهوم البطل صانع التاريخ، فلم يقصره على الزعماء السياسيين والقادة العسكريين الذين كانت ترتبط أسماؤهم بتواريخ أمم العالم وشعوبه ويقترن ذكرهم على الدوام بها، بل عد البارزين في المجالات كافة من العباقرة والعظماء من هؤلاء الأبطال، فالبطولة من وجهة نظره لها أشكال وصور عديدة أقدمها البطل في صورة نبي ومثاله عنده النبي محمد (ص) والبطل في صورة شاعر كدانتي وشكسبير والبطل في صورة قسيس كلوثر، والبطل في صورة كاتب كروسو والبطل في صورة ملك كنابليون.

ويقوم التفسير البطولي للتاريخ على الاختيار الإلهي للبطل، وتأديته للرسالة السماوية تعبيراً عن (العناية الإلهية). فضلاً عما يمكن أن يتحلى به البطل من شجاعة وقدرات ذاتية تؤهله للقيام بدوره المرسوم على مر العصور. بيد أن هناك استثناءات يلاحظها كارليل عن دور البطل في التاريخ، أهمها :

١. أن البطل لا يأتي إلا في الوقت المحدد المرسوم من قبل العناية الإلهية، ولا يجود به العصر أو المجتمع وقتها شاء، فهناك عصور تنادي أين البطل ولا بطل، وذلك أن البطل لم يكن وقت النداء موجوداً ولم يكن الله قد أرسله رحمة للعالم. ومن ثم يترتب على ذلك أن تتراجع بعض العصور وسبب فقدانها للبطل.

٢. ميز كارليل بين البطولة الحقيقية والبطولة الزائفة، وأن لم يضع بينهما فواصل قائمة على أسس موضوعية رصينة. فالبطل الحقيقي من الملوك مثلاً، لا تقاس أعماله، ومن ثم بطولته، على ما تحدثه حروبه من ضجيج وجلبة، ولا على ما يملأ صدور الجرائد من أخباره المنتقاة، وما يدونه منها الكتاب والمؤلفون المتزلفون، ذلك أن البطولة لا تقاس إلا بما تقدمه أعمال البطل من خير ومنفعة للناس. والبطولة (المزيفة) لها دور فيما يبدو في تفسير التاريخ. إذ لا شك أن البطل المزيف يحرك أحداث التاريخ بشكل من الأشكال ويؤثر في اتجاهات مساراتها وأن اتخذت هذه المسارات طرقاً خاطئة لا تعود بالنفع على الناس.

نقد نظرية البطل التاريخي :

ظهور العظيم (أو البطل) محصلة قوى اجتماعية وفكرية واقتصادية هذه قضية ثابتة لا جدال فيها، على أن النظرة الصائبة لتقدير دور البطل أو الزعيم والحكم التاريخي يجب أن تركز على القوى الاجتماعية في تطورها والتحديات والتهديدات التي تواجهها أمة ما والتي ينبثق عنها ظهور البطل أو الرجل العظيم. ولهذا يجب مراعاة أمران :

الأول : تجنب الإدانة الشديدة لفعل الرجل العظيم، فقد ذهب البعض الى أن الملوك والساسة والعسكريين قد عرقلوا تطور الحضارة، ولكن مع هذه الإدانة الصارخة فالسؤال مازال قائماً : هل كان يمكن تجنب المآسي البشرية لو لم

يظهر هؤلاء العظماء؟ ومن ناحية أخرى هل كان يمكن أن تدور عجلة التاريخ دون أن تدفع البشرية ثمن دورانها كوارث ومآسي.

الثاني : تجنب المبالغة المفرطة في تقدير دور الرجل العظيم : أن هناك خلطاً دائماً بين إنجازات العصر وانجازات الفرد، إنجازات العصر هي تلك الإنجازات الحضارية التي تتم كنتيجة حتمية لعوامل فكرية وروحية واقتصادية وسياسية في ذلك العصر، إما إنجازات الفرد وهي التي ترفع الفرد بحق الى بطل صانع أحداث، فإنها تلك الإنجازات التي ما كانت تتم بدونه بل كان دولته ستتجه أتجاهاً مغايراً الى التدهور والانحطاط لولا وجوده، أن هذه التفرقة تتيح لحكم الصائب على الدور الحقيقي للبطل أو الزعيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة السادسة ////

التفسير المادي للتاريخ

هو التفسير الذي قدمه كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)، وفريدريك إنجلز (١٧٦٠-١٨٩٥).

ماركس وإنجلز أخذا الجدل (الديالكتيك) عن هيجل، لكنهما رفضا الغلاف المثالي لمذهب هيجل، وقال ماركس أن مذهب هيغل يقف على رأسه.

- واعتبر ماركس أن الجدل انعكاس للبيئة الاقتصادية المادية.
- وقال أن ظروف الانتاج وعلاقاته هي القاعدة التي بنيت عليها القوانين والأنظمة والتشريعات.
- وأن تاريخ البشرية هو تاريخ صراع بين الطبقات.
- وحاول أن يبرهن على أن أسلوب الانتاج المادي هو الذي يعين الطابع العام لطرق الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية.
- إن الجماعة عنده هي الحقيقة، ولا وجود مستقل للأفراد.
- والتاريخ عنده لا يسيره العقل المطلق، ولا تصنعه عبقرية العظماء.
- وإنما عملية تطور وصراع اجتماعي داخلي.
- ومن يملك وسائل الانتاج والثروة يستمتع بالثمرة ويفرض سلطانه على الآخرين.

إن غاية التفسير المادي للتاريخ ليست تحليل الماضي بقدر ما تهدف إلى فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

التفسير المادي للتاريخ

تعرف المادية بأنها أتجاه فلسفي ونزعة ترى أن كل ما في الوجود المادي، أو يعتمد كلياً في وجوده على المادة، فالواقع مادي، والكائنات الحية (إنسانية أو حيوانية)، إنما هي مادية في طبيعتها الأساسية وليست ثنائية التركيب (مادة

وروح) لم يكن هذا النوع من التفكير جديداً على ساحة الفكر، بل تمتد جذوره الى الحضارات القديمة، حين النظر الى المادة، كمبدأ أول، أو علة اولى في التفسير وجود الأشياء، فقد ارجع أوائل الفلاسفة اليونان علل الوجود الى المادة بأشكالها الثلاثة (صلب، سائل، غازي)، فطاليس السالطي (٦٢٣-٥٤٥ق.م) مثلاً قال أن (الماء مبدأ الوجود الأول)، من بعده قال أنكسمانس (٥٨٨-٥٢٥ ق.م) أن (الهواء هو مبدأ الوجود الأول) لأن الماء لا يصلح أن يكون مبدأ أول للأشياء، عندما يتكاف تتشكل في البدء السحب، ثم الماء، ثم التراب والصخر، وهكذا تكتمل حلقة التكوين الذي تبدأ بالهواء، لذلك فهو أصل الأشياء جميعاً، والهواء عنده بالنسبة للعالم بمقام النفس للموجودات الحية فهو نفس العالم، ومع هرقليطس (٥٤٠-٤٧٤ ق.م) تغيرت النظرة لهذا المبدآن حين عد النار هي الأصل في الوجودات أما انبادوقليس (٤٩٢-٤٣٠ ق.م) فأكد أن العناصر المادية تشكل كرة الوجود الدائرية، فلوجود الطبيعي عنده يتكون من عناصر الأربعة (الماء، الهواء، النار، التراب)، لكنه لم يجعل القوة المحركة للوجود احد هذه العناصر، وتعد نزعة ذرية اشهر اشكال المادة التي جسدها مذهب ديمقريطس وابيقور، وهي محاولة لتفسير التغير على أساس العناصر النهائية التي يتألف منها العالم، وهذه العناصر جزيئات لا تقبل القسمة أو الفناء، تتحرك في مكان خالي وتتكون الأشياء والكائنات الحية في العالم الطبيعي من اندماج هذه الجزيئات، وتفنى بتفككها، لتؤلف مركبات جددة مختلفة.

ومع بداية تطور العلوم في عصر النهضة الأوربية الحديثة أخذت النزعة المادية شكلاً من اشكال البحث والاستقصاء والتجربة على يد الكثير من العلماء أمثال غاليلو، نيوتن، فرانسيس بيكون، والبارون دي هولباخ، الذي يعد كتابة (نظام الطبيعة، ١٧٧٠) من المراجع القديمة في المادية ولنتيجة لتطور العلوم الطبيعية (الفيزيقية)، كعلم الجيولوجيا، ونظرية التطور العضوي التي دلت أن الحياة والعقل تطوراً عن المادة الجامدة زعم أصحاب هذا العلم، أن وجود الحياة

العقلية ومداها يتوقف على حجم (المخ) وهيئته، وقد جسد ذلك فيسولوجي الألماني كارل فوجت (١٨١٧-١٨٩٥)، الذي قال أن الفكر يرتبط بالمخ.

أما كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)، الفيلسوف الألماني، فقد كان مختلفاً عن كل الماديين السابقين له، عندما حاول أن يمزج بين المذهب المادي وبين فكرة الفاعلية التي طورتها المدرسة المثالية، خاصة عند هيغل، وعند المذاهب المادية له صوراً من النزعة الميتافيزقية، لأن تجعل من الظواهر (الطبيعية أو الأنسانية)، أشياء منعزلة خاصة بمقولته العلية، دون أعتبار للتشابك بين الظواهر أو التفاعل بين المعلول والعلة ولسلسلة التغيرات في العلاقات الاجتماعية المختلفة وحاجة الأنسان المتزايدة من الاحتياجات.

أذن فليس موارد الانتاج عند ماركس قوانين ثابته ودائمة، بل أنها تتغير وفق لحياة الأنسان في مجتمعه وعلاقته بسائر قوى الإنتاج، وليست العوامل المادية مؤثرات حتمية لكنها أفعال انسانية وعلاقات مادية مع الأخرين. وهكذا يصبح مفهوم المادية عنده يعني المادة من حيث علاقاتها بالإنسان المتطور التي يعد الانتاج أهم مظهر لهذه العلاقة، من ثم تصبح المادي لديه عملياً لفظة مرادفة للاقتصاد.

يعتبر كارل ماركس أن التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الإنساني وإن القوانين حتمية يعنى تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه.. وإذا فهم الإنسان القوانين بإمكانه انه يقرر صورة مستقبل الجماعة الإنسانية "،وقد دأب الماركسيون، على القول بأن المادية التاريخية، هي الطريقة العلمية الوحيدة لإدراك الواقع الموضوعي، التي قفزت بالتاريخ إلى مصاف العلوم البشرية إن ماركس يعتبر إن التاريخ هو تاريخ الصراع الطبقي الذي يعتبره المحرك الأساسي للتاريخ.. إن ما يسميه البناء الفوقي الذي هو الأنظمة السياسية، القيم الاجتماعية والأديان، هي انعكاس للواقع الطبقي والمادي المعاش. وان هذا ينسجم مع النزعة المادية لتفسير التاريخ المتناقض مع النزعة المثالية لتفسير الأخير.

قام ماركس بقلب ديالكتيك هيغل رأسا على عقب. وتعتبر المادية أن تاريخ المجتمع منذ أن وجد حتى الآن هو صراع طبقات، كانت تقف موقف المعارضة الدائمة لبعضها البعض وتقوم بحرب لا انقطاع لها")فتاريخ كل ما يوجد على الأرض حتى الآن- من مجتمعات-إنما هو تاريخ كفاحات طبقية، ووسائل الإنتاج هي الحكم الفصل الحقيقي الذي كان يقرر مصير هذه المجتمعات، فالإنتاج وما يصحبه من تبادل المجتمعات هو أساس كل نظام اجتماعي واقتصادي، وفي كل مجتمع ظهر في التاريخ نجد أن توزيع المنتجات وما يلزمه من تقسيم المجتمع إلى طبقات، يعينه الإنتاج وطريقة وكيفية تبادله، فحسب هذه النظرية نرى أن الأسباب النهائية لكافة التغيرات الاجتماعية والثورات السياسية والاقتصادية يجب البحث عنها في التغيرات التي تطرأ على أسلوب الإنتاج .)فالمادية التاريخية إذن تجعل أسلوب إنتاج الحاجات المادية أساسا للتطور، وتجعل صراع الطبقات سبيل هذا التطور، فالمجتمع البشري مجتمع متطور، والعامل المسير المحتم لهذا التطور هو التغيير الذي يحدث في وسائل الإنتاج، والذي يعين نوع العلاقات الاقتصادية في كل مرحلة من المراحل، وهذه العلاقات الاقتصادية تحتم بدورها نوعا من الأوضاع الاجتماعية والعقائد الدينية والمذاهب الأخلاقية .)المادية التاريخية، بوصفها القاعدة المباشرة للمذهب، والهيكل المنظم لقوانين الاقتصاد والتاريخ، التي تملي-في زعم الماركسية- على المجتمع مذهبها الاقتصادي، وتصنع له نظامه في الحياة طبقاً، لمرحلته التاريخية وشروطه المادية، والمادية التاريخية كانت هي المرجع الأعلى في تحديد المذهب الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، لكل مرحلة تاريخية من حياة الإنسان. وأصبح من الضروري أن يدرس كل مذهب اقتصادي واجتماعي، من خلال قوانينها، وفي ضوئها. ولأجل هذا يقرر انجلز-على أساس المادية التاريخية- "إن الظروف التي ينتج البشر تحت ظلها، تختلف بين قطر و آخر. وتختلف في القطر الواحد من جيل لآخر. لذا فليس من الممكن أن يكون للأقطار كافة، وللأدوار التاريخية جمعاء، اقتصاد سياسي واحد.

الفلسفة الماركسية

إن الفلسفة الماركسية هي علم عن قوانين علاقة الوعي بالعالم الموضوعي ، وعن القوانين العامة للحركة في الطبيعة والمجتمع والفكر البشري .إن ظهور الماركسية في أربعينيات القرن التاسع عشر ترافق مع تطور الرأسمالية وتَكَشُّف طبيعتها التناحرية وجوهرها القائم على الاستغلال والقهر كما نشاهده ونلمسه ونعاني منه يومياً عبر همجية وتوحش العولمة الامريكية وحليفها الصهيوني وتوابعها من انظمة الاستبداد والتخلف في بلادنا.

كارل ماركس : (١٨١٨ – ١٨٨٣)مؤسس فلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي ، " ولد في تريير – بألمانيا ، حيث أنهى الثانوية عام ١٨٣٥ ، والتحق بجامعة بون ، وبرلين " تأثر بأفكار هيجل وفيورباخ وآدم سميث ، نال درجة الدكتوراه في الفلسفة عن رسالته بعنوان " الاختلاف بين فلسفة ديموقرطيس الطبيعية وفلسفة إبيقور " عام ١٨٤١ ، ومن خلال دراسته للاقتصاد السياسي ومشاركته في الأحداث الثورية في المانيا وفرنسا ، اكتشف لأول مره الدور التاريخي للبروليتاريا وتوصل إلى النتيجة القائلة بحتمية الثورة الاجتماعية وضرورة توحيد حركة الطبقة العاملة ، كما وضع نظرية فائض القيمة التي تمثل حجر الزاوية في الاقتصاد السياسي الاشتراكي وتكشف بوضوح عملية الاستغلال الرأسمالي ، أصدر العديد من الأبحاث والكتب أهمها " المخططات الاقتصادية والفلسفية " (١٨٤٤) و " العائلة المقدسة " (١٨٤٥) و " الايديولوجيا الألمانية " (١٨٤٦) و"بؤس الفلسفة " (١٨٤٧)" و"إطروحات حول فيورباخ " بالتعاون مع زميله " إنجلز " ثم أصدرا معاً " البيان الشيوعي " (١٨٤٨) " الذي وضع الخطوط العريضة لتصور جديد للعالم ، وهو المادية المتماسكة ونظرية صراع الطبقات والدور الثوري للطبقة العاملة ، وبعد أن وضع عدداً من الكتب الهامة حول الثورة في فرنسا وأوروبا والصراع الطبقي ، أصدر في عام ١٨٦٧ المجلد الأول لكتابه الرئيسي البالغ الأهمية " رأس المال " والذي تم استكماله فيما بعد على يد رفيقه " فريدريك انجلز" ١٨٨٥ و ١٨٩٤.

إلى جانب كل ذلك ، فقد كان ماركس فيلسوفاً مادياً جدلياً " رفض فهم الفلسفة على إنها علم مطلق ، غريب عن الحياة العملية والنضال ، مؤكداً إن مهمة الفلسفة والفكر الاجتماعي ليست بناء أو إنشاء Construction المستقبل ، ولا وَضَع نظريات تصلح لجميع العصور والدهور ، بل إن مهمتها " النقد الذي لا يرحم لكل ما هو قائم، نقد لا يرحم بمعنيين ، لا يهاب استنتاجاته الذاتية ، ولا يتراجع أمام الاصطدام بالسلطات القائمة ، هكذا طرح ماركس مسألة نفي الفلسفة بمعناها القديم ، " حب الحكمة " أو " علم العلوم " ، إنه ضد عزل الفلسفة عن النشاط العملي ، ولاسيما حركة الكادحين والفقراء التحريرية ، فهو يقول " لاشئ يمنعنا أن نربط ممارستنا بنقد السياسة ، بموقف حزبي معين في السياسة ، أي أن نربط ونقرن نقدنا بالنضال الواقعي .. إن مأثرة فلسفة ماركس تكمن في كونها البرهان الفلسفي والعملي في آن واحد على حتمية التحويل الجذري لمجتمعاتنا نحو الانعتاق والتحرر والعدالة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية، رغم كل ما يتبدى اليوم من مظاهر القوة والعدوان للتحالف الامبريالي الصهيوني في بلادنا من ناحية ورغم كل عوامل وأدوات ورموز الهبوط السياسي والتبعية والقهر والتخلف السلفي الرجعي والليبرالي الهابط من ناحية ثانية.

المادية الجدلية:

لا شك أن الاكتشافات العلمية المذهلة في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، قد أكدت على انتصار وتغلب المفاهيم العلمية المادية الجدلية على كافة المفاهيم الغيبية ، إذ أن العلم الحديث (في علوم الهندسة الوراثية والاستنساخ والجينات والفيزياء والليزر، والهندسة (النانو) والفامتو Famto Secondوالكومبيوتر وعلوم الفضاء والاتصال...إلخ) أكد على استبدال مفهوم المادة الضيق بمفهومها الديالكتيكي الواسع، بما يكرس مصداقية الفلسفة المادية الجدلية التي تُعرّف المادة بأنها " واقع موضوعي قائم بغض النظر عن الوعي البشري الذي يعكسه" . ان التعريف العلمي للمادة يتضمن ثلاثة جوانب: ١) المادة

هي ما يوجد خارج الوعي وبغض النظر عنه. ٢) المادة هي ما يُولّد الأحاسيس لدينا؛ وهي ما تعتبر أحاسيسناً ووعيناً على العموم انعكاساً لها.

وهذا يفتح على مسألة هامة هي أن الفكر جزء من الواقع المادي أيضاً. فهو نتاج الإنسان الواعي، أي الإنسان الساعي إلى صوغ واقعه في تصورات وأفكار. والفارق بين الواقع والمادة هو هنا، حيث تخضع المادة لفعل الإنسان ولكن لـ "عقله " أيضاً. هذا الفعل وذاك العقل يسهمان في وعي المادة، وبالتالي، في السيطرة عليها وتطويرها كذلك.

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة السابعة ////

المنهج الديالكتيكي الماركسي:

يتميز هذا المنهج عن المنهج الميتافيزيقي بميزات أربع هي تباعاً:

- **النظر إلى الطبيعة بوصفها كلاً موحداً ومتماسكاً ترتبط فيه الموضوعات والظاهرات ارتباطاً عضوياً فيما بينها ويشترط بعضها بعضاً.**
- **النظر إلى الطبيعة بوصفها في حالة حركة وتبدل مستمرين، وتجدد ونمو لا ينقطعان إذ ثمة دائماً شيء ما يولد وينموا وآخر ينحل ويزول.**

- **النظر إلى سيرورة النمو بوصفها إنتقالاً من التبدل الكمي الخفي إلى التبدل الجذري الكيفي، والنظر إلى التبدل الكيفي بوصفه تبدلاً ضرورياً يحصل بقفزات ويسير أبداً إلى أمام من القديم إلى الجديد ومن البسيط إلى المركب ومن الأدنى إلى الأعلى.**
- **النظر إلى موضوعات الطبيعة وظاهراتها من زاوية تناقضها الداخلي، أي النظر إلى جانبها السالب وجانبها الموجب، إلى ماضيها ومستقبلها، إلى ما يختفي فيها ويظهر، لأن مضمون النمو الداخلي هو صراع الأضداد ولأن كل شيء يخضع للظروف والزمان والمكان.**

أما المادية الفلسفية الماركسية فتنطلق من مبادئ ثلاثة يعارض كل منها مبدأ في المثالية الفلسفية:

- **المبدأ القائل أن العالم مادي بطبيعته، وأن مختلف ظاهراته ليست سوى أوجه مختلفة من أوجه المادة المتحركة وذلك على عكس المثالية – التي يختصرها هيغل هنا على ما يبدو – التي تنظر إلى العالم بوصفه تجسيداً للفكرة المطلقة أو الروح الكلي – لكن إثبات مادية العالم لا يتوقف هنا، بل يقترن بالقول إن حركة المادة والعالم تحصل بموجب قوانين ضرورية، وهي القوانين التي يثبتها المنهج الديالكتيكي في علاقات الظاهرات وتشارطها.**
- **المبدأ القائل أن العالم المادي هو واقع موضوعي قائم خارج وعينا به وبمعزل عنه. وأن المادة او الكون أو الطبيعة، هي المعطى الأولي في حين ان الوعي أو الفكر هو المعطى الثاني المشتق لانه نتاج للمادة ولدرجة عليا من درجات تطورها وكمالها.**
- **المبدأ القائل إن العالم، وقوانينه، قابل لأن يعرف معرفة كاملة. وإن معرفتنا بقوانينه هي معرفة مقبولة عندما تؤكدها التجربة والممارسة.**

أيهما أسبق الوعي أم المادة؟

يتضح مما تقدم أن جوهر المسألة الفلسفية يتجلى في السؤال التالي: أيهما أسبق الوعي أم المادة؟

يعتبر السؤال عن أولوية الوعي أو المادة سؤالا مركزيا في الفلسفة ، ولو أردنا ان نصوغه بطريقة سلسة ومبسطة لقلنا : أيهما يسبق الآخر هل يسبق الوعي المادة أم تسبق المادة الوعي؟ في واقع الامر أهمية هذا السؤال تنبع من التركيب الاكثر وضوحا وأهمية وهو : هل يوجد تفكير أو وعي خارج المادة وهل توجد مادة خارج الوعي وبدونه؟

للوهلة الاولى قد نتسرع بوضع إجابات اعتباطية تنزع إلى طبيعة التكوين الذاتي الثقافي لكل منا ، ولذا فنحن نحتاج لشيء من الصبر للحكم على الموضوعة أو اختيار إجابة.

قبل أن نتعرف على الخلاف في جذوره حول أولوية المادة أو الوعي علينا أولا أن نعي مقصود المادة ومقصود الوعي في ضوء دراستنا ونقاشنا وفهمنا للماركسية وفلسفتها، فبالنسبة للمادة هي الموجود المادي بكل ابعاده مستقلا عن الروح ومستغن عنها ، أو المادة هي الوجود الموضوعي القائم بذاته خارج وعينا. أما كيف هي المادة؟ فهذا سؤال يجيبنا عليه العلم عن طبيعة المادة وخواصها....الخ. إذن ما هو الوعي الآن؟يتلخص الوعي فهماً بكونه الإدراك، والإدراك الموضوعي تحديداً ، لأن الإدراك الحسي المباشر ظاهرة توجد لدى الإنسان والحيوان على السواء بينما يتميز الإنسان بإدراك موضوعي يؤهله للتفكير المنطقي أي القدرة على ربط الأسباب بالمسببات ، أو التفكير المنتظم بلغة مهما بلغت درجة بدائية هذه اللغة.

اتخذت المادية إذن كفلسفة موقفا مبدئيا علميا من مسألة أولوية المادة ؛ ذلك أن عمليات الإدراك والتفكير وتكوين الوعي لا يمكن أن تتحقق إلا في بيئة مادية ، وبالتالي فوجود المادة شرط أساسي لا غنى عنه في عملية الوعي ، تدلنا القوانين العلمية الناظمة للوجود المادي على استحالة تكوين وعي بدون مادة ، أي أن الفرض القائل بإمكانية تحقق وعي بدون زمان أو مكان أو حركة فرض غير ممكن التحقق، فالوعي إذن مظهر من مظاهر وجود المادة.

أهمية القول بأولوية المادة:

إن القول بأولوية المادة معناه رفض كل أطروحات الفلسفة المثالية التي تحاول تفسير العالم والوجود الانساني انطلاقا من ما ورائيات أو أي وعي سبق المادة، وبالتالي فهي دعوة لفهم واقع الانسان ووجوده إنطلاقا من وعي ما هو مادي ، ووعي ما هو مادي إنما يستند للعلم ، فالعلم هو الذي يجيبنا عن ماهية المادة ، وبالتالي فإن الفلسفة المادية إنما تبني مقولاتها كلها منطلقة من الوعي العلمي الذي يكون موضوعه الأساسي الوجود المادي للكون والإنسان والمجتمع، وقد إتخذ ماركس موقفا أبعد من ذلك عندما طالب بإنتقال الفلسفة من تفسير العالم إلى تغييره ، جوهر هذا الكلام المطالبة بتوظيف القوانين المادية التي تحكم الوجود في تغيير الوجود نفسه ، وبالتالي إخضاع الوجود الموضوعي للإنسان وتمكينه من خلال فهمه المادي للوجود من تغيير هذا الوجود في مصلحته نحو واقع أكثر تطورا.

تعرف المادية الجدلية في معظم المراجع على النحو التالي: انها قوانين ومبادئ ومقولات تعمل في جانبين ، جانب المعرفة العلمية (العلوم المختلفة) ، والجانب الآخر هو الحركة المجتمعية وتطور المجتمع تبعا لهذه القوانين . أي أنها تطبق في العلوم المعرفية وعلم الاجتماع على حد سواء، إذن يمكننا القول، إن المادية الجدلية هي ذلك العلم الفلسفي الذي ينطلق من أولوية المادة مستخدما قوانين الجدل المادي لفهم الوجود وتطوره.طبعا ليس بمقدورنا أن نقف على المعنى المراد في التعريف المتقدم إلا عندما نقف على قوانين الجدل المادي ونفهمها جيدا ، إلا أن الانطلاق من دقة التعريف الذي سنعود لفهمه بدقة أكبر مع فهمنا لقوانين الجدل يوفر لنا مساحة التفاعل الجدلي أيضا مع التعريف نفسه وبالتأكيد سنجد أنفسنا ونحن نعود إليه نعيد صياغته أو فهمه بشكل أكثر نضجا .

المادة وأشكال وجودها:

إن نقطة انطلاق المادية الديالكتيكية هي الإعتراف بالوجود الموضوعي للمادة، للطبيعة، المتطورة، المتحركة، بشكل خالد. لهذا لابد، في البداءة، من دراسة المادة وأشكال وجودها.

- المادة:

يحيط بنا عدد لا حصر له من الكائنات المتباينة أعظم تباين في خصائصها بعضها يحشر في عداد الكائنات الحية. وبعضها لا يتوفر فيه أي دليل على الحياة. بعضها قاس وبعضها طري أو سائل. بعضها متناه في الصغر وخفيف، وبعضها ذو أجسام هائلة وثقيلة جداً. بعض الأجسام مشحونة بالكهرباء، وبعضها غير مشحون بها.... إلخ. كل هذا بمجموعه يشكل ما يدعى بالطبيعة.

ومهما تباينت أجسام الطبيعة وتمايزت عن بعضها، فالخاصة الجامعة بينها هي إنها موجودة خارج وعي الإنسان، واحساسه ونفسه وبشكل مستقل عنه.

ولم ينشأ الإنسان ووعيه الا في درجة معينة من تطور الطبيعة كنتاج رفيع لها، في حين وجدت الطبيعة ذاتها بشكل خالد، ولم يوجد ولا يمكن أن يوجد أي "وعي ما فوق الإنسان" أو "وعي مطلق"، وعلى هذا فالفلسفة المادية تعلم أن الطبيعة، أن المادة، هي السابقة؛ وأن الروح، أن الوعي هو اللاحق، وعلى الصعيد الاجتماعي، فإن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي الاجتماعي بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع.

إن الفلسفة المادية، إذ تعمم حصيلة التطور التاريخي الطويل تصوغ ، شيئاً فشيئاً، مفهوم المادة العلمي.

يقول لينين : "إن المادة هي مقولة فلسفية للدلالة على الواقع الموضوعي الذي تعرفنا عليه إحساساتنا، الواقع الذي تنسخه هذه الإحساسات وتصوره وتعكسه، ويوجد بشكل مستقل عنها".

في هذا التعريف ينعكس جوهر النظرة المادية عن العالم، وانتصاب المادية ضد المثالية وضد نظرية استحالة المعرفة.

إن آفاقاً لا تحد تتكشف أمام العلم في استقصائه اعماق المادة، مهما صغرت ومهما تعقدت، إن العقل البشري لا يتوقف عن الحدود التي عرفها بل يحاول أن يتعداها

ليتعمق في معرفة جوهر المادة وجزئياتها، ذلك أن الحقائق التي عرفناها، يستقر خلفها حقائق أخرى لم نعرفها بعد، وهذه تمهد لاكتشاف حقائق ثالثة وهكذا إلى ما لا نهاية.

ثم أنه لا ينبغي الخلط بين سؤالين اثنين: أولهما هو هل للأجسام الطبيعية كيان خارج وعينا ومستقل عنه؟ وثانيهما: ما هي بنية هذه الأجسام، وما هي العناصر الفيزيائية التي تتكون منها؟ وما هي الصفات الفيزيائية لهذه العناصر؟ السؤال الأول فلسفي ويتعلق بنظرية المعرفة، أما الإجابة على الثاني فمن مهمات العلوم الطبيعية، ولا سيما الفيزياء. بيد أننا حين نؤكد على الفارق بين السؤالين، لا نستطيع الفصل بينهما. إن العلوم الطبيعية تدرس العالم الواقعي والأجسام المختلفة في هذا العالم، كما تدرس بنية هذه الاجسام وخواصها، وارتباط بعضها ببعض، والقانونيات الملازمة لها. بيد أن هذه العلوم لا يمكن وجودها من غير الاعتراف بالواقع الموضوعي للعالم المحيط بنا. ومفهوم المادة هو انعكاس لهذا الواقع الموضوعي. ولهذا فمفهوم المادة، بالمعنى الفلسفي الماركسي، يتمتع بأهمية كبرى بالنسبة إلى العلوم الطبيعية.

إن المفاهيم الأساسية التي أوجدتها العلوم الطبيعية، للدلالة على مواضيع هذه العلوم: كالصغيرة الأولية، والذرة، والجزيء والعنصر الكيماوي والتشكيلة الجيولوجية، والمنظومة الفضائية ....إلخ، إن هذه المفاهيم ترتبط حتماً بمفهوم المادة الفلسفي، ويعبر عنها من خلاله.

لقد لاقى مفهوم المادة هجوماً أعنف من أي هجوم تعرضت له الفلسفة المادية. ولا عجب في ذلك لأن هذا المفهوم هو حجر الزاوية في المفهوم المادي عن العالم، لذا يهاجمه أعداء المادية باستمرار. لقد أكد المثاليون مراراً وتكراراً أن مفهوم المادة الذي يعني الواقع الموضوعي إنما دحض أو شاخ؛ غير أن تطور العلم، ومعطيات ممارسة النشاط العملي أثبتا، بشكل لا يدحض، عكس ما ذهبوا إليه.

كل شيء في تبدل وتغير وذو نهاية. ولكن إذا ما اختفى شيء برز مكانه شيء آخر، بحيث أن أية صُغَيرة مادية لا تختفي من غير أثر، ولا تتحول إلى لا شيء،

وبالمقابل فليس هناك من صغيرة مهما كان شأنها، تخلق من لا شيء. وحيث تنتهي حدود أحد الأشياء المادية تبدأ حدود أشياء مادية أخرى. ولا نهاية لهذا التعاقب الذي لا حد له، ولا للتأثير المتبادل بين الأجسام المادية. فالمادة، فالطبيعة خالدة، لا نهاية لها ولا حدود.

ليست المادة شيئاً وحيد الصورة ومن نوعية واحدة. إنها تبرز في أجسام متباينة لا حصر لتباينها، متميزة نوعاً وكماً، وهي تشكل جماعات من الأشياء الأقارب، من حيث خصائصها، وهي ما نسميها بالأنواع المتباينة للمادة.

وهذه الأنواع المتباينة للمادة تتميز بالتعقيد إلى هذا الحد أو ذاك، وهي مواضيع بحث مختلف العلوم من الفيزياء إلى الكيمياء، والبيولوجيا....إلخ. أما الأنواع البسيطة نسبياً منها فهي الصغيريات الأولية كالفوتون، والالكترون، والبوزيترون، والبروتون، والميزون، والأنتي بروتون والنترون والانتي نترون....إلخ.

أما التعقيد الواسع فهو من نصيب الذرات والجزيئات ثم تليها في التعقيد الغازات والسوائل والأجسام الصلبة التي نحتك بها في حياتنا اليومية. وكذلك الأجرام السماوية المختلفة كالكواكب والنجوم والمجموعات النجمية.

وتتميز أجسام الطبيعة العضوية، وخاصة الإنسان، ثمرتها العليا، بدرجة عالية من التعقيد. ويعتبر المجتمع الإنساني موضوعاً مادياً خاصاً تدرس علوم كثيرة جوانبه ومظاهره المختلفة: من هذه العلوم المادية التاريخية، والتاريخ والاقتصاد السياسي، والاحصاء الاقتصادي....إلخ.

- الحركة شكل لوجود المادة:

المادية الجدلية لا تحصر تعدد أشكال الحركة في شكل واحد منها، ميكانيكي، مثلاً أو أي شكل واحد آخر، بل تربط الحركة بالتغير، بتطور الاجسام، بمولد الجديد واندثار القديم ، لا توجد المادة إلا في حركة وهكذا فإن الحركة شكل من أشكال

وجود المادة وهي خاصية ملازمة لها. "إن الحركة هي أسلوب لوجود المادة . ولم توجد في أي مكان مادة دون حركة ولا يمكن أن توجد".

- الحركة مطلقة والسكون نسبي:

حركة المادة مطلقة وابدية ، وخلافاً لكون الحركة مطلقة فإن السكون نسبي. ولكنه لا يجوز تصوره حالة جامدة متحجرة. فالجسم لا يمكن أن يكون ساكناً إلا بالنسبة لجسم آخر، لكنه بالضرورة يشترك في الحركة العامة للمادة. وفوق ذلك فحتى حين يكون الجسم في حالة سكون فإن عمليات فيزيائية أو كيميائية أو عمليات أخرى تجري فيه طيلة الوقت.

فإن حركة المادة ابدية مطلقة ، في حين أن السكون وقتي نسبي، أنه مجرد لحظة من لحظات الحركة.

ذلك إن كل ما يولد الأحاسيس لدينا مادي، ولكن ليس كل الظواهر المادية تولد لدينا أحاسيس: فالأشعة ما فوق البنفسجية والعمليات الجارية وسط الشمس وعدد لا يحصى من الظواهر الأخرى ليس بمقدورنا أن نحس بها. وبالرغم من كل أهمية السمتين الثانية والثالثة للمادة فالأمر الرئيسي الذي يميز المادي عن غير المادي هو وجوده خارج الوعي.

إن هذا الفهم للمادة يتسم بأهمية كبرى في الوقت الحاضر وتؤكده كلياً الاكتشافات العلمية الحديثة والمعاصرة. وعلى ضوء التصورات العلمية الحديثة يمكن أن نشير إلى المجموعات التالية لأشكال حركة المادة :

١. الأشكال الميكانيكية: وهي تنقل الأجسام مكانياً بالنسبة إلى بعضها البعض.
٢. الأشكال الفيزيائية: وهي التغيرات في الواقع المكاني والسرعة والكتلة والطاقة والشحنة الكهربائية ودرجة الحرارة والحجم وغير ذلك من صفات الأشياء المادية، وهي أيضاً، مجموعة أشكال الحركة التي تدرسها

الفيزياء كالعمليات الحرارية والكهرطيسية بما فيها الظواهر الضوئية والتجاذب المتبادل وكافة العمليات التي تجري داخل الذرة وداخل النواة.

٣. الأشكال الكيميائية: وهي تحول بعض المواد إلى بعضها الآخر، وتكوين تراكيب الذرات وإعادة تكوينها (اتحادها وانفصالها).
٤. الأشكال البيولوجية: وهي كافة التغيرات أو الحركة في الحياة العضوية.
٥. الأشكال الاجتماعية: وهي التغيرات الجارية موضوعياً في المجتمع البشري وحدهُ والملازمة له دون غيره، أو هي العمليات الاجتماعية (التناقضات والصراعات الطبقية ...إلخ) وتاريخ المجتمع الإنساني.

إن أي شكل من أشكال الحركة المذكورة أعلاه إنما هو موجود موضوعياً بعض النظر عن وعي البشر، وهو يمثل عملية مادية. أما حركة أحاسيسنا وأمزجتنا وأفكارنا فهي موجودة في أذهان البشر فقط. وبديهي أن الأحاسيس والأفكار لا يمكن أن توجد بدون حاملها المادي، نعني الدماغ.

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

**المحاضرة الثامنة **

التفسير الحضاري للتاريخ :

أولاً : اوزولد اشبنكلر والثقافات المغلقة.

اوزولد أشبنكلر (١٨٨٠ – ١٩٣٦م) فيلسوف حضارة ألماني درس الحضارات العالمية وضع نظرية فيها ملخصها أن الحضارات تولد وتنمو وتزدهر وتهرم وتشيخ شأنها في ذلك شأن لأشجار والأزهار والأوراق فالتاريخ على هذا الأساس يتكون من كائنات عضوية حية هي الحضارات، الحضارة عند شبنكلر تشبه الكائن العضوي الحي، فإنها تمر بالأدوار نفسها التي يمر بها الإنسان، مثلاً خلال تطوره، فكل حضارة لها طفولة وشباب ونضج أو رجولة وشيخوخة، وهي تمر بالأدوار نفسها التي تتعاقب على السنة فلكل حضارة ربيعها وصيفها وخريفها وشتاؤها.

ولهذا أطلق على نظريته بـ (البعد البايالوجي للتاريخ أو التفسير الحضاري أو الحضارات المغلقة). وقد أطلق عليها أسم الحضارات المغلقة لأن لكل حضارة أسلوبها الخاص بها :

يرى أشبنجلر أن لكل حضارة أسلوب متميز خاص بها يختلف عن أسلوب غيرها من الحضارات. ونستطيع أن نلمس هذا بوضوح تام في كل مظهر من مظاهرها ... من فن ودين وعلم وسياسة وتركيب اجتماعي. فنجد في مجال الفن مثلاً أسلوب كل حضارة ظاهر في تفضيل بعض أنواع الفن على البعض الآخر (كالنحت وتلوين الجدران عند اليونان والرسم بالزيت في الحضارة الغربية. كذلك تختلف الشخصيات العظيمة المتناظرة في الحضارات المختلفة، حيث نلاحظ أختلافاً واضحاً بينها وبين ما يماثلها من الشخصيات المنتسبة الى حضارة أخرى.

وقد أخطأ المؤرخ الأوربي حين أتخذ من حضارته مركزاً ثابتاً يدور حوله التاريخ العالمي. فقسم تاريخ العالم على غرار تقسيمه للتاريخ الأوربي الى تاريخ قديم وتاريخ وسيط وتاريخ حديث إذ ليس من حقه أن يجعل من حضارته محوراً ثابتاً يدور حوله التاريخ العالمي، لأن تاريخ العلم يضم ست حضارات على الأقل. وكل حضارة لها دورة نمو تبدأ بالولادة والشباب والنضج ثم الشيخوخة يعقبها الفناء. وللحضارة دورة حياة مقفلة فلا مجال للقول بالأصول الأجنبية لمظاهر الحضارة، لأنها دائرة مقفلة على نفسها وليس بينها وبين الحضارات الأخرى صلة إلا بعض النوافذ التي تسمح بنفاذ ما يلائم جوهر الحضارة الأخرى إذ أن ما ينقل لا يلبث أن يستحيل الى طبيعة الحضارة الناقلة من الأولى وكل تشابه هو ظاهري فقط ولا وجود لتراث واحد للإنسانية فكل حضارة لها خصائصها الذاتية المستقلة عن غيرها من الحضارات. لقد تصور المؤرخون أن الحضارة الإسلامية أخذت عن الحضارة اليونانية لتنقل بدورها معارفها الى الحضارة الغربية، وذلك خطأ كبير من قبل المؤرخين ويعبر عن نظرة سطحية لمسار التاريخ لأن أنتقال أي مظهر من مظاهر حضارة ما يقتضي عملية معقدة من التحول ممثلة في هظم وتمثل الحضارة للعناصر التي تقتبسها من الحضارة الأخرى لكي تحيله الى طبيعة الحضارة المكتسبة للعناصر الجديدة، فلو تصورنا عنصراً من عناصر حضارة معينة مثل (الدين) تتقبله حضارتان متباينتان، فإن كلاً منهما تتقبله على نحو مختلف ومتباين عن الأخرى، بل أن أي حضارة لا تتقبل من الحضارات الأخرى إلا ما يلائم طبيعتها ثم تضفي عليه من روحها.

الحضارة هي وحدة الدراسة التاريخية أو الظاهرة الأولية للتاريخ العالمي كله ما كان منه وما سيكون لأن الحضارة ظاهرة روحية لجماعة من الناس لها تصور واحد عن العالم ويتبلور وحدة تصورهم في مظاهر حضارة من فن ودين وفلسفة وسياسة وعلم وتشكل هذه الوحدة شخصية حضارية لها خصائصها الذاتية فهذا يتضمن أنها مغلقة وليست منفتحة على الحضارات الأخرى ويعبر التعاقب الدوري للحضارات عن مسار التاريخ، ويشبه أشبنجلر حياة كل حضارة بالفصول الأربعة : وربيعها هو فترة البطولة ويعبر عنه في الحضارة بالأساطير وشعر الملاحم مثل مرحلة العصور الوسطى في الغرب، أما صيفها هو مرحلة الازدهار وظهور القيادات الطموحة والأبطال. ويمثل الخريف مرحلة النضج الكامل للثقافة والدين والعلم وكافة مظاهر الحضارة وظهور البوادر الأولى للشيخوخة وظهور الفلسفات التي تتحدى الدين والقيم السائدة بأسم التنوير مثل حقبة سقراط وأفلاطون ومثل مرحلة القرن الثامن عشر في أوربا حيث منتصف الخريف. ويتمثل الانتقال الى الشتاء مرحلة بداية موت الحضارة حين تتخذ الفلسفة طابع الشك ويسود السياسة عصر الإمبراطوريات والاستعمار والطغيان السياسي، في الشتاء تفقد الحضارة روحها المبدعة وتصبح مجرد مدينة يتجلى أفضل ما تقدمه في تطبيق العلم على الصناعة التكنولوجيا مع أهمال القيم الروحية والإنسانية فالتقدم التكنولوجي يجب أن يرتبط بسمو روحي وأخلاقي. أن للحضارة حياتها المحدودة التي لابد لها أن تنتهي ،وكما أن الفرد يفنى والنوع يبقى كذلك محتوم على كل حضارة أن تموت ولا بقاء إلا للإنسانية الممثلة لمجموع الحضارات وإذا كانت مفاهيم الميلاد والفتوة

والشيخوخة والوفاة تسري على كل موجود عضوي كذلك هي بالنسبة لكل حضارة بذلك يتكون تاريخ العالم.

قد يحدث أحياناً أن تلتقي حضارتان وتكون أحداهما أشد قوة من الأخرى وأعظم أبداع وأكثر عراقة أو على الأقل مساوية لها، تضطر الحضارة المهزومة أن تتلاءم ظاهرياً مع الحضارة الغالبة ما دامت لا تستطيع أن تعبر عن طبيعتها الخالصة بشكل مستقل وتتشكل مظاهر هذه الحضارة في القوالب الفارغة التي فرضتها عليه الحضارة الأجنبية، ويظن المؤرخ أن الحضارة المغلوبة على أمرها قد اختفت بينما هي كامنة خلف القشرة الخارجية التي فرضت عليها. ويسمي أشبنجلر تلك الحالة التي تضطر فيها حضارة عريقة الى الخضوع والتلاؤم مع حضارة مسيطرة بـ (التشكل الكاذب للحضارة).

وهناك حالة ثالثة الى جانب الحالتين السابقتين : حالة ميلاد حضارة جديدة وانطلاقها بعد أن أثارتها(استثارتها) قوى أجنبية.

وتموت الحضارة عندما تستنفذ إمكانياتها الخلاقة وروحها المبدعة، أنها كالشجرة التي فقدت عصارتها ونضب منها معين الحياة، أنها حققت صورتها النهاية. وقد مرت الحضارة الأوربية في مرحلة الخلق والأبداع وانتقلت الى مرحلة الجمود والموت حينما تحولت الى مدينة تقوم على التوسع الاستعماري وسادت فيها الاتجاهات اللادينية والمتشكلة واستحالت الوسائل الى غايات، وقد تمثل ذلك في مجالين النقد والآلة، فقد كان النقد وسيلة للتبادل ولكنه استحال الى غاية فأصبح قيمة كل شيء تقاس بالنقد وأصبح الاقتصاد يحرك السياسة.

أن تلازم عصر تنتشر فيه المذاهب اللادينية مع التوسع الاستعماري العالمي يعني أن ذلك عصر تدهور واضمحلال ويستحيل تجديد شباب هذه الحضارة كما يتعذر استرجاع شباب الكائنات العضوية ولا يمكن أن تفعل شيئاً إزاء ذلك.

نقد فلسفة اشبنكلر في التاريخ :

مع اعتراض كثير من الباحثين على تمثيل الحضارة بالكائن الحي أو تفسير مسار التاريخ تفسيراً بيولوجيا فإن احداً لم يقدم إجابة شافية عن أمكان أن تتحاشى حضارة ما مصير سائر الحضارات من تدهور وفناء، وحقيقة أن آراء أشبنجلر لا تتسم بالتحليل العقلي أو الأحكام العلية فذلك في رأيه منهج العلم ما تتسم دراسته للتاريخ بالطابع الشعري والأحكام الجمالية ومع ذلك فقد كان لآرائه تأثير بعيد المدى، في أغلب مؤرخي العصر لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الذين أصبح شغلهم الشاغل الحديث عن مصير الحضارة الغربية وأزمة الأوربي المعاصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة التاسعة

ثانياً_ ارنولد توينبي ونظرية التحدي والاستجابة.

خلاصة نظرية توينبي في (التحدي والاستجابة) ترى أن البيئة تتحدى الناس؛ فإن استجابوا للتحدي بنجاح فإنهم سوف يتمكنون من إنشاء حضارة قوية ذات شأن وإن هم فشلوا فإن نمو حضارة متقدمة في تلك البيئة عسير كالصحراء في شبه الجزيرة العربية سوف لن يكلل بالنجاح ابدا. لهذ غإن نمو حضارة من الحضارات أمر مرهون بمدى استجابة الناس للتحديات التي تواجههم. وتضيف النظرية أن كل حضارة تمر بطورين اثنين. ففي الطور الأول، وهو طور النمو تكون الاستجابة للتحديات موفقة دوماً أي أن الناس يكونون أقدر من القوة التي تعارضهم. أما في الطور الثاني، فيكون الوضع مناقضاً لما في الطور الأول، أي تكون التحديات أقوى من كفاءة الناس العاجزون عن الاستجابة لها. في هذا الطور يظهر التحدي مؤديا إلى ردّ فعل مخفق. ثم يظهر تحدٍّ أكبر من السابق، فيكون الرد عليه أضعف من الرد الأول. ويستمر الحال هكذا إلى أن تضمحل الحضارة أو تشيخ. يعتقد توينبي بأن الحروب هي السبب الجوهري لانهيار المجتمعات أو الحضارات. وهو يأخذ المجتمع الآشوري القديم مثلاً يقول: (لقد هوت آشور جثة هامدة، ولكنها مدججة بسلاحها. ومن المعلوم أن تسليح آشور هو أقوى تسليح في غرب آسيا خلال القرن السابع قبل الميلاد. ومع ذلك، فقد

انهارت بسرعة قصوى أمام هجمة الميديين والبابليين) وههنا يستشهد توينبي بقول السيد المسيح (من يأخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ منه) .

أرنولد جوزف توينبي ولد عام ١٨٨٩ في لندن وتوفي عام ١٩٧٥ كان يمثل عصرا بعيد عن عصرنا ففي الربع الأخير من القرن العشرين واول عصرنا في القرن الحادي العشرين انقلبت القيم والتقديرات عن العصر الذي عاش فية توينبي رغم ان الكثير من الحقائق والتعليلات التي اوردها توينبي لاتزال حية خاصة في تقديراته في قيام الحضارات واختفائها. تتوينبي يعتقد أنَّ الحضارة الإسلاميَّة بما فيها العربيَّة حضارةٌ تمرُّ في دَور الانحلال، وأنَّ مُحاولات إنقاذها كانت غير كافية ومُجدية في تحقيق التقدُّم واللحاق بالحضارة الغربيَّة. رغم ان عصره لم يكن عصر قيام دولا اسلامية وحركات ارهابية تخيف العالم الغربي ومع كل ذلك فان الحضارة الغربية ماتزال قائمة قوية في الاقطار الديوقراطية وهي قوية رصينة لن تنهار .

يرى أرنولد تُوينبي أنَّ تحوُّلَ المُجتمعات البدائيَّة إلى مُجتمعات حضاريَّة يعتمد على مَدى الانتقال من حالة الجمود إلى حالة الحركة الديناميَّة وأنَّ هذه القاعدة تَصحُّ كذلك في عمليَّة نشوء الحضارات الأُخرى وتعاقبها. يرى توينبي أنَّ العَالم الإسلاميّ بما فيه العَالَم العربيّ يُواجه اليوم التحدّي الغربيّ بطريقتَين الأُولى سَلَفيَّة منغلِقة (ستاتيكيَّة) تُمثِّلُها الحركاتُ السنية الوهَّابيَّة والسنوسيَّة والمهديَّة والشيعية وما جرى مجراها من حركاتٍ سَلَفيَّة حديثة؛ أمَّا الطريقةُ الأُخرى فهي تقدُّميَّة منفتحة.

ويَرى أنَّ الموقف السَلَفيّ يُمثِّلُ انحلالاً حَضاريًّا، بينما يُمثِّلُ الموقفُ التقدُّميّ حركةً ديناميكيَّة جديرة بالتقدير.

وظف توينبي فكرة التحدي والاستجابة التي تداولها عدد من الفلاسفة ممن سبقوه في نظريته التي حلل بها نشأة الحضارات العالمية بدراسة التاريخ .

٢- أن نظرية توينبي قد ركزت على ست حضارات كنموذج لها واولها الحضارة العراقية السومرية والحضارة المصرية الفرعونية والحضارة

٣- أفترض توينبي إن أول التحديات التي واجهت الحضارات هي تحديات البيئة الجغرافية أي العامل الطبيعي التي واجهته الحضارات البدائية مما أدى إلى ظهور الحضارات الأصيلة الأولى.

٣- يضع توينبي شروط لنظريته في التحدي الذي يولد الاستجابة الناجحة ، أن لا يكون مفرطاً في السهولة ، بحيث يخلق اليأس والقنوط ولا بالغاً في السهولة إلى حد الاستهانة به فلا يعد تحدياً بالأساس .

١-يعتقد توينبي إن حركة التاريخ التقدمي الحضاري هي حركة متكررة دائرية ومتقدمة ويشبهها بحركة العجلة .

٢-يرى توينبي إن الشدائد والظروف الصعبة هي التي تستثير وتحث الإنسان على التحضر ؛ فالأرض الشاقة والموطن الجديد يشكلان تحديين لقوى الأبداع الإنساني ، أما الذين يفشلون في تحقيق استجابة ناجحة فالانقراض مصيرهم .

٣- تتطلب عملية التحدي براي توينبي الاستمرار كفعل بإيقاع منتظم متكرر لصراع يوجهه رد فعل دائمة لا تتوقف لان توقفها يعني توقف الاستجابة وانتهائها .

٤-أن التحدي أذن برأي توينبي هو الذي يولد الاستجابة والأبداع وبخلافه يكون :

أ. عجز التحدي يؤدي بالطرف الآخر إلى أن يصبح عاجزا تماماً عن استجابة ناجحة.

ب.قصور الطاقة الإبداعية في الأقلية الحاكمة .

ت.التحدي البالغ الشدة يحطم روح الطرف الآخر .

٨- يتصور توينبي إن المجتمع هو الذي يجلب على نفسه عوامل الانهيار قبل أن يجلبها عليه الغزو الخارجي ، ويحدث فقدان التماسك الاجتماعي سواء بسبب انشقاق الخارجين أو سخط المحكوم عليهم بتطبيق القوانين .

ت

محاضرات مادة فلسفة التاريخ \ المرحلة الثالثة

مدرس المادة م. د . باسم كسار كظم

جامعة المثنى \كلية التربية الاساسية \ قسم التاريخ

المحاضرة العاشرة ////

((نظرية العامل الجغرافي في تفسير التاريخ))

شغلت الطبيعة فكر الأنسان منذ أقدم العصور، كيف لا وهي ميدان العمل الإنساني ومسرح حياته، الذي ولد ونمى وتغذى ولبس وصنع حاجاته منها. وأستغل الأرض ثم أنتج الحضارات، كل ذلك كان من الاطار الطبيعي الذي لم ولن ينفك منه الى الأبد، والسبب في كون الأنسان مع الطبيعة يشكلان الأركان الأساسية في بناء التاريخ. وهكذا فقد أثرت مظاهرها في مخيلة الأنسان منذ عهد بعيد، فكانت محط اهتمامه، وحاول على الدوام تفسير الظواهر الطبيعية بفطنة وذكاء، وكان في الكثير من الأحيان يعجز عن فهم سلوك تلك الظواهر الأمر الذي جعله يخشاها فأضطر الى تقديسها وعبادتها، ليضفي اليها صبغة الإلهة .

وكان للطبيعية بكل مظاهرها، من سهول منبسطة وجبال مرتفعة ووديان وأنهار وأهوار، أثر في حركة الأنسان، فضلاً عن عوامل المناخ، كالحرارة والبرودة والاعتدال، تلك الحركة التي يسببها دفع حي البقاء والحياة هي التي جعلت الأنسان يبحث عن المناطق التي تلائم طبيعة عيشه لتستمر حياته، ومع تطور أساليب عيشه بدأ في وضع اللبنات الأولى في البناء الحضاري.

لقد ارتبطت التاريخ منذ القدم بالبيئة الطبيعية، ونتجت تلك الأحداث عن تفاعل الأنسان مع البيئة حيث تمثل الأخيرة جغرافية التاريخ، وهي أرضية الفعل التاريخي للإنسان ولكن على الرغم من قسوة الطبيعة وظروفها المناخية والبيئية على الأنسان الأول فأنه استطاع وبمرور الزمن أن يتكيف معها ولم يكم هذا التكيف كلياً، بل أن الكثير من المظاهر الطبيعية كانت تقلقه على الدوام وتقض مضجعه وتحد من حركته وما زال الى يومنا هذا لا يستطيع السيطرة على بعض مظاهرها (الزلزال والبراكين والفيضانات وغيرها .

حددت ظروف البيئة حركة الأنسان وطريقة عيشه، مع إنا جعلنا من هذه النظرية تحت عنوان النظريات الحديثة، باعتبار أن اكتشاف أثر الجغرافية على الأنسان والحضارة التي ينتجها، بدأ مع ظهور النظريات الحديثة والتي انطلقت منذ عصر النهضة في أوربا، عندما بدأ الحديث عن اثر الجغرافية في التاريخ، ذلك دون أن نتجاهل وجود إشارات عند جميع فلاسفة اليونان (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، فضلاً عن المؤرخ هيرودوت وإشارة العالم الروماني (سترابو) في القرن الأول الميلادي، الذي قال أن الأرض مؤلفة من خمس مناطق سكنية، منطقتين باردتين واخرى حارة، لا تصلحان للعمل والعيش لتطرفهما في البرودة والحرارة ومنطقتين معتدلتين تصلح للعمل والعيش، كما نجد مثل هذه الاشارات عند بعض المفكرين المسلمين ومنهم ابن طفيل في القرن الحادي عشر الميلادي، الذي ذكر إن الموقع الجغرافي والبيئة لهما أثر في حياة الأنسان، ولكن كل تلك الإشارات لا ترق الى مستوى النظريات في تفسير التاريخ على أسس جغرافية، إذا ما أستثنينا بوادر ولادة نظرية مع الحديث عن تراث ابن خلدون المتوفى (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦هـ) لكن تأخر ابن خلدون الى مطلع العصر الحديث، واحتكاكه باوربا يجعل نتاجه الفكري والثقافي لا ينتمي الى الإسلام فقط، بقدر ما ينتمي الى الفكر الإنساني الحديث ونظرية العمل الجغرافي\تعني اثر الظروف الجغرافية (طبيعة الأرض وشكلها) والظروف المناخية (برودة-حرارة-اعتدال) على الأنسان في عمله الذي ينتج الحضارة، ويكون لهذه العوامل اثر في حركة التاريخ وتشمل :

أ- طبيعة الأرض وشكلها: جبلية، منبسطة في ، (سهول، وديان، صحارى) ومائية (أهوار، مستنقعات، جزر)، ففي الأولى تقل كفاءة الأنسان حضارياً لصعوبة التنقل والحركة، وفي الثانية يستطيع الأنسان إنتاج الحضارة لسهولة التنقل والحركة، ويكون أقل كفاءة في الثالثة .

ب- الظروف المناخية: (البرودة، الحرارة، الاعتدال)، ففي الجو البارد يتحفز الأنسان للعمل ومن خلاله يكون الانجاز الحضاري، وفي الجو الحار يتقاعس عن العمل ويصيبه الكسل والخمول وتقل حركته، مما يسهم في قلة الانجاز الحضاري المناطق الحارة، أما أفضل إنجاز حضاري فيكون في الجو المعتدل، لأن اعتدال في سلوك الأنسان وإنتاجه الكري والحضاري .

ت- عوامل جغرافية أخرى يكون تأثيرها محدودا على الأنسان، وهي الكوارث الطبيعية (الزلازل، والبراكين، والفيضانات)، لأن أنسان من خلال خبرته تمكن من تجنب بعض أثارها، فأصبح تأثيرها جزئياً على حياته .

كل تلك العوامل تؤثر في الأنسان وتحدد سلوكه ونشاطه، وتؤثر على الحضارة على اعتبار أن الأنسان هو العامل الأساس في قيامها، وبما إن الحضارة حدث تاريخي، ومجموعة الحضارات تؤلف التاريخ، للك يكون تأثير البيئة الجغرافية في حركة التاريخ ،من خلال تأثيرها على الأنسان .